إمضاء ميت

محمد رجب

رواية

محمد رجب — إمضاء ميت — رواية

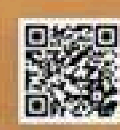
إمضاء ميت

عندما تقرأ رواية بعنوان إمضاء ميت و تنتمي لنوع الجريمة سوف تتوقع أنك ستقرأ رواية تقليدية و لكن يفاجئني محمد رجب برواية بوليسية من الطراز الأول بلغة جيدة و سرد رائع يسحرنا محمد بين سطور الرواية لنبحر معه في رحلة وقودها الغموض و الإثارة .. ستلهث أنفاسك في خضم تتابع الأحداث في حبكة متقنة الصنع .. رواية لن تندم علي إقتنائها .

محمد عصمت
كاتب وروائي

أعدك بالوقوف بين صفحات تلك الروايه متسائلا بعد كل حرف والحيره سيدة للموقف .. لن يتركك التشويق لحظة منذ بداية الرواية وحتى كلمة تمت.. ولن يتسرب الملل بين طيات تلك التحفة الأدبية . فقد فاجئني محمد رجب بذلك النوع من الإبداع الذي لن تستطع أبدا رفضه او محاوله التفكير أيستحق الوقت ام لا . فتفاعل العقل مع حروف الكاتب جعل من الوقت شيئا في منتهي التفاهه امام قيمه تلك الاسطر .. في النهاية إمضاء ميت رحلة يجب ان تخوضها وحدك فأحيانا يعجز الكلام عن وصف الإبداع.

عمر عوده
كاتب وروائي






عصير
الكتب
للنشر و التوزيع



إِمضَاء مَيِّت

اسم الكتاب:	إمضاء ميت
اسم المؤلف:	محمد رجب
تصميم الغلاف:	إسلام مجاهد
تدقيق لغوي:	سارة صلاح
رقم الإيداع:	2014/14982
الترقيم الدولي:	978- 977- 85101- 1- 9
إشراف عام:	محمد المصري
مدير النشر:	عمر عودة
لطلب الكتاب :	01149811100 - 01153339390



دار الرسم بالكلمات

Facebook: https://www.facebook.com/Dar.Elrsm.Blklemat?fref=ts

إِمضَـــاء مَيِّـت

رواية

محمد رجب

دار الرسـم بالكـلمات

(الحرب العصرية هي أن تجعل خصمك يقتل نفسه بنفسه بدلاً من أن تكلف نفسك بمشقة قتله).

د.مصطفى محمود

(1)

الأصوات كثيرة متداخلة.. قد تصلك منها همهمات غير مفهومة أو ضحكة عالية أو اسم لاعب أو مغني مشهور.

هذا هو الحال في مُدرَّج كلية الصيدلة جامعة القاهرة، صخب دائم قبل محاضرات الفرقة الثالثة.

بين كل ذلك تجد «علياء» تلك الفتاة التي تجلس في الصف الثاني وتضع سماعة أذنيها وتقرأ في رواية أمامها.. تتوقف الموسيقي لوصول رسالة لهاتفها.. تبتسم فهي تنتظر هذه الرسالة وتعرف مضمونها.. تفتحها: "آسفة على التأخير.. في الطريق"

تلك الرسالة كانت من «نور» صديقتها دائمة التأخير.

تنظر علياء في ساعتها لتجدها 9:50 فتأمل أن تصل نور سريعًا قبل أن يأتي دكتور يوسف فهو لا يتأخر ولا يسمح بالدخول لأحدٍ من المتأخرين.. تصل نور بعد ذلك بخمس دقائق.. تتبادلان السلام ثم يدخل الدكتور «يوسف» بعدها..

الدكتور «يوسف حمدان» هو دكتور وعالم في مجال العقاقير والكيمياء الطبية.. قد يتبادر لذهنك بعد استعمالنا لفظ(عالِم) أنه شخص طويل ونحيف ذو عينين غائرتين تحت نظارة صغيرة وذقن خفيفة ودائم التلفت في كل الاتجاهات.. قد تظن أنه لا يعتني بمظهره وأنه غامض ولا يتكلم كثيرًا.. أيًا كان من زرع هذه الصورة في أذهاننا فقد ظلم الكثير من العلماء.. ولكنه كان منصفًا مع الدكتور يوسف. فهذا ما هو عليه بالضبط.. ينظر في ساعته تلك الساعة الصغيرة ذات اللون الذهبي التي لا تفارقه.. فإذا بها العاشرة تمامًا..

يشير لأحدهم ليغلق أبواب المدرج.. ويبدأ المحاضرة كانت المحاضرة في مادة الكيمياء الطبية وسأوفر لنا الوقت ولن أصف ما قيل في المحاضرة.. وإن وصفت لك فلن تفك طلاسمها.

انتهت المحاضرة أخيرًا الساعة الثانية عشر.. فيجمع الدكتور أشياءه في حقيبته ويهم بالانصراف ولكن قبل أن يخرج..

يقول صوت من آخر المدرج: لو سمحت يا دكتور ما هي إجابة سؤال الأسبوع الماضي؟

فيبتسم الدكتور: لقد كان صعبًا، ولكني واثق أن أحدهم قد أجابه.. هل سيذكرني أحد بالجملة؟

فتقول إحدى الطالبات: الحب يسع الأجانب (حكمة).

يسأل دكتور يوسف(مبتسمًا): من أجاب عليه؟

ترفع علياء يدها من ضمن القِلَّة التي تمكنت من الإجابة، كما أنها الوحيدة التي أجابت سؤال الأسبوع السابق أيضًا.

وقف الدكتور قليلًا ينظر لعيون الطلاب المتعلقة عليه بتركيز، لقد كان شغفهم بمعرفة الحل بادٍ على وجوههم ولا توجد لحظة يشعر فيها الدكتور بالنشوة أكثر من تلك اللحظة، فهو على الرغم من تواصله مع الطلبة وتواضعه معهم يجد حاجزًا بينه وبينهم لا يستطيع كسره أبدًا.. ولكنه في تلك اللحظة دائمًا يشعر أنه استطاع أن يكسره.. لقد أحبَّ تلك الأسئلة أكثر منهم.

أشار لعلياء مؤذِنًا لها بالإجابة، فقالت(بسرعة):

- السعي باب النجاح.

الدكتور: صحيح.

(لحظة هدوء ثم صخب في المدرج)يقطعه الدكتور:

- لا يوجد أسئلة هذا الأسبوع للتفرغ لامتحانات نصف العام، لقد اقتربت.

قالها وانصرف.

والأسئلة هي أسئلة "جناس صحفي" وهي لمن لا يعرفها هي إعادة ترتيب حروف جملة لا تعطي معنى أو فائدة للحصول على جملة ذات معني وفائدة.

قد تسأل ما علاقة دكتور في كلية الصيدلة وعالم عقاقير وكيمياء حيوية بذلك النوع من الأسئلة..

حسنا.. لك الحق في أن تسأل هذا السؤال.. ولكن موضوع تلك الأسئلة قد بدأ في حفل الترحيب بالطلبة أول العام وقد تمَّت دعوته مع باقي الأساتذة.. وتفاعل كل دكتور مع الطلبة عن طريق إلقاء أسئلة أو لعبة خفيفة..حتى جاء دوره فلم يجد إلا "الجناس الصحفي" ومن وقتها وقد تعلق الطلبة بهذا النوع من الأسئلة.

* * *

بعد المحاضرة تذهب علياء ونور لمكتب الدكتور ليسألونه عن بعض مما لم فهماه في المحاضرة.. فيرحب بهما ويشرح لهما، ثم فجأة وبدون أية مقدمات يستأذن ويذهب ويتركهما في المكتب.

وقبل أن تخرج نور، تجد محفظة على الأرض فتفتحها وتمسك البطاقة تنفجر ضاحكة بسبب صورة البطاقة، تلك الوصمة في حياة كل من أكمل الستة عشر عامًا. تختطف علياء المحفظة من نور وتقول :

- حسنًا.. سنترك المحفظة وننصرف.

- وإن سُرِقَت؟

- من سيسرقها؟ سنتركها في مكتبه كما كانت.

- قد يسرقها أحد العاملين أو الطلبة.. فالدكتور لا يغلق مكتبه عندما ينصرف.. إنَّ المحفظة تحتوي على كل أوراق الدكتور الشخصية.. ستكون مشكلة إن ضاعت أو سُرِقَت.

- حسنًا.. ما اقتراحك؟

- حسنًا.. اقترح أن نذهب لمنزل الدكتور ونعطيها لبوَّاب العمارة ليعطيها له.

علياء(بعد تفكير):

- حسنًا.. سنتقابل اليوم السادسة مساء في (....) لنذهب له.

- حسنًا.. اتفقنا.

* * *

الساعة السادسة هاتف علياء يرن.. تتصل بها نور، ترد بسرعة:

- أين أنتِ؟

فترد عليها نور معتذرة:

- متأسفة لن أتمكن من الذهاب.

- ماذا؟! أنا في طريقي إليكِ.

- لقد أتى والدي من السفر وسنذهب لاستقباله في المطار الآن.

- لماذا اتفقت معي إذًا؟

- لقد كان من المفترض أن يأتي الساعة التاسعة، ولكنه استطاع أن يأتي مبكرًا.. ولم يخبرنا ليفاجئنا.

- هذا لحسن حظي.

نور ضاحكة:

- فلنؤجلها للغد.

- أنا في الطريق ولن أرجع، سأذهب وأعطيها للبواب وحدي.

- كما تريدين.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

* * *

تصل علياء إلى العنوان الموجود في البطاقة.. تسأل عن المنزل فيدلهما أحدهم أنها الشقة الوحيدة المسكونة في هذه العمارة وبالطبع لا يوجد بواب.. تتردد ثم تقرر أن تصعد له وتعطيه المحفظة.

تطرق الباب فيفتح جزءٌ من الباب.. لا ترى منه سوى وجه الدكتور ويده

الممسكة بالباب وتلك الساعة الذهبية الصغيرة عليها.قالت له علياء بارتباك:

- حضرتك...

الدكتورمقاطعًا:

- علياء!!

- لقد وجدت محفظة في المكتب هذا الصباح و... الدكتور(مقاطعا مجددًا):

- ليس لي.. شكرًا.

- ولكن بطاق...

لم تستطع أن تكمل جملتها، فقد أغلق الباب في وجهها.. فقد سمعت صوت المزلاج أو ما شابه يُغلَق من الخلف بعنف. حدَّثت عليها نفسها قائلة: "لقد علمت أنك أكثر من أستاذ".

* * *

في طريق العودة تتصل علياء بنور..

ترد نور:

- حسنًا.. هل تَّمت المهمة؟

- أريد أن أراكِ.

- حسنًا.. نتقابل غدًا.

- بل أقصد أريد أن أراكِ الآن.

- إننا في طريقنا للمطار الآن.. لن يمكن أن نتقابل حتى الغد.

- لقد رأيت شيئًا في شقة الدكتور.

نور باهتمام:

- ما هو؟

- لستُ واثقة مما رأيت، ولكني بحاجة لأن أقابلك.

- حسنًا.. غدًا سآتي إليكِ.

- لا تتأخري.

- حسنًا.. سآتي.

* * *

(2)

في منزل علياء في صباح اليوم التالي، تجلس هي ونور سويًّا، تبدأ علياء الحديث قائلة:

- ليتنا كنا سويًّا لتساعديني على وصف ما رأيت.

- لقد فهمت من حديثكِ ما رأيت.. دكتور كيمياء ورأيتِ في منزله دخان ناتج من تجربة كيميائية.. ماذا في ذلك؟

علياء(بنفاذ صبر):

- ركزي قليلًا.. لقد أجرينا العديد من التجارب ودخلنا المعمل مئات المرات وأستطيع أن أخبركِ بكل تأكيد أن هذا الدخان لم يكن عاديًا على الإطلاق.

نور: لقد قلتِ إنه لم يفتح الباب كليا.

- صحيح.. لم يفتح الباب كليا ومع ذلك رأيت ذلك الكم من الدخان.. ذلك يدل على أنه كان كثيفًا جدًا.

- لم يكذب في شيء، فعندما دخل المدرَّج أول مرة قدَّم نفسه كدكتور وعالم كيمياء حيوية وعقاقير ماذا في ذلك؟

- إنه لا يمتلك مالًا ليكون لديه معمل في بيته.. إنه لم يغيِّر بدلته منذ سنتين.

نورضاحكة:

- وأيضًا سيارته يُضرَب بها المثل في الصبر.

- من أين له المعمل؟ بل من أين له عمارة كاملة؟ والأهم من هذا وذاك ما أمر المحفظة؟ لماذا أنكرها؟؟

- حسنًا.. هذا ما أراه غريبًا.

- إنه يخبئ لغزًا ما.. أظنه لغزًا كبيرًا.

نور بتشكيك:

- وهل تريدين أن تعرفي ما هو اللغز؟

- بالطبع.. هل لديك فكرة كيف نعرف؟

- لا أعلم.. ولكن لماذا لم نفكر من قبل في معرفة فيما كانت رسالة الدكتوراة الخاصة به.

- صحيح...سيفسر ذلك الكثير...ولكن كيف نعرف؟

- سمعت أن موقع الجامعة يوفر بعض المعلومات عن الدكاترة والأساتذة...فلنرى.

* * *

بعد البحث تقول نور:

- إن الموقع لا يوفر معلومات عن كل طاقم التدريس.. فقط مجموعة منهم.

- لنجرب حظنا.

- إنه هنا...ما معنى هذا؟!!

علياء(تقرأ المكتوب أمام اسمه): "دكتوراه عملية"

- هذا يعني أنه اخترع شيئًا ما؟؟

- قلت لك...إنه أكبر من مجرد أستاذ جامعة.

- لنجري بحثًا عنه.

- أعطِني هذا لأجرب. (وأخذت "اللاب توب" منها)

دخلت على محرك بحث مشهور وكتبت:"د.يوسف حمدان"

ضغطت زر الإدخال، وجدت موسوعة علمية شهيرة غالبًا ما تستعين بها في أبحاثها العلمية ضمن أوائل النتائج.. ضغطت عليها لتُفتَح نافذة مكتوب بها: "دكتور يوسف حمدان محمد علي، ولد في ... "

واستمرت سيرته الذاتية حتي وجدتا عنوانًا فرعيًا

"اختراعاته"

"اخترع الدكتور يوسف العديد من الفيروسات والمضادات لها أثناء عمله في مصر، وكذلك أثناء سفره لروسيا.. ولكن يبقي أكبر اختراعاته اكتشاف يسبب (متلازمة ستوكهولم) لفترة زمنية معينة والمضاد له... "

نور(بعدم فهم): ما هذه المتلازمة؟

علياء(وهي تفتح صفحة بحث): شيء جديد لدرجة أننا لا نعلمه.. أو خطير لدرجة أننا لم نقابل مصابًا به.

وكتبت في صندوق البحث:"متلازمة ستوكهولم"، ودخلت على أولى النتائج وكانت في نفس الموسوعة:

"متلازمة ستوكهولم هو مصطلح يطلق على الحالة النفسية التي تصيب الفرد عندما يتعاطف أو يتعاون مع عدوه أو من أساء إليه بشكل من الأشكال، أو يظهر بعض علامات الولاء له مثل أن يتعاطف المخطوف مع المُختَطِف.

أُطلِقَ على هذه الحالة اسم "متلازمة ستوكهولم" نسبة إلى حادثة حدثت في ستوكهولم في السويد حيث سطا هناك مجموعة من اللصوص على بنك "كريديتبانكين" واتخذوا بعضًا من موظفي البنك رهائن لمدة ستة أيام عام 1976. في خلال تلك الفترة بدأ الرهائن يرتبطون عاطفيًا بالجناة، وقاموا بالدفاع عنهم بعد إطلاق سراحهم.

وقت قليل من الوجوم.. ثم بدأت نور بالتساؤلات بسرعة لدرجة لا تسمح لعلياء بالإجابة حتى.

* * *

بعد أن استطاعت علياء أن تشرح لنور ما استطاعت هي فهمه.. سألت نور:

- ولكني لا أفهم ما أهمية فيروس كهذا أساسًا؟.. ماذا يجعل شركة صينية تشتريه بمبلغ 12 مليون دولار وهو تحت التجربة؟

- تصوري أن الدولة أو أيًا كان من يحمل هذا الفيروس استطاع أن يوصله لكِ..

سوف تصبحين مِلكًا له حرفيًا.. فهو قد يفعل أي شيء بكِ ومع ذلك لا تعترضين ولا تشتكين.. بل تدافعين عنه ضد من يشتكيه.. والسؤال ليس هكذا.. بل قولي دكتور يوسف الذي لا يملك ثمن بدلة جديدة ماذا فعل بال12 مليون دولار.

- سؤال منطقي..

- نحن لا نعلم الكثير.. ولكننا نعلم أن الدكتور ليس جيدًا كما يبدو للناس.

- لنواجهه في الكلية .. سيعلم الجميع حقيقته.

- سنفكر فيما سنفعل.

- بدون تفكير.. يجب أن يعلم الجميع حقيقته.. يجب أن يعلموا أنه شخص بدون ضمير.

- حسنًا.. ولكن سنفكر في طريقة لفعل ذلك.

* * *

(3)

أمام عمارة الدكتور..

الجو مضطرب وازدحام شديد.. ما بين مشاهدين وسيارات إسعاف ومطافئ، الكل يشاهد ذلك الحريق في العمارة.. وما إن تهدأ النار حتي يحدث انفجار آخر فيها.. ويقف الناس بين متحمس للمنظر ومستمتع وبين خائف ومشفق..

من بين هؤلاء تجد شابًا في الثلاثينات من عمره يدعى عبد الرحمن، بجلبابه الأبيض يدمع في وقارٍ يلائم لحيته الطويلة وهو يشاهد الجثة وينظر للساعة التي ذابت مع الجلد وأصبحا كيانًا واحدًا..

قبل أن تُغطَّى وتُسحَب من أمامه.. ينظر في انعدام وعي لـ «سيف المصري» ضابط المباحث وهو يسأله: سيف(وهو يشعل سيجارة جديدة):

- هل هو دكتور يوسف حمدان؟

يكتفي عبد الرحمن بإيماءة من رأسه، فيؤكد سيف:

- واثق؟ إن الجثة مشوهة من الحريق تمامًا..

(يرن هاتف سيف الخاص فيجيب بسرعة ويبدو عليه الاهتمام)

سيف(يتكلم في الهاتف وينتظر ليسمع محدثه ثم يكلمه):حسنًا.. أنا أمام المنزل.. نعم.. يوسف.. لقد مات.. لقد انتهى الأمر.. لا.. لا يوجد أية خطورة، لا تقلق.

(ثم يغلق الخط وينظر لعبد الرحمن ويسأله):هل أنت متأكد من كونه هو؟
- إن العمارة كانت ملكه ولا يسكنها غيره.. وكذلك يكفي النظر ليده لترى ساعته التي لم تفارقه يومًا.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

- أعلم أنك كنت صديقه الوحيد.. ولكننا في حاجة للتأكد من كونه هو.

- إنه هو.. أنا متأكد.

سيف(يشعل سيجارة): حسنًا.. ستأتي لي غدًا لنكمل الإجراءات.

يومئ عبد الرحمن وينصرف.. بينما يشعل سيف سيجارة جديدة.

*** * ***

ينادي سيف مسئول قوة المطافئ الموجودة:

- متى ستنتهي هذه الفوضى؟

- لا نعلم.. فكلما سيطرنا على الحريق اشتعل من جديد.. فهو حريق كيميائي.

- حسنًا.. إنها ليست المرة الأولى لك لتقف أمام حريق كيميائي.. متى سينتهي؟

- لا أعلم حقًا.. إنني قد تصديت لحرائق بمصانع كيميائية ولكنني لم أرَ أبدًا مثل هذا.. كمية الانفجارات توحي بأن صاحب العمارة يحضر المتفجرات كهواية بعد أن ينتهي من عمله (ويضحك).

(ينظر له سيف نظرة جدية ويرمي سيجارته على الأرض):

- أريد أن ننتهي بسرعة..

(وينصرف من أمامه).



*   *   *

(4)

لم تذهب نور أو علياء للكلية ليومين منذ الحادثة.. وقد اتفقتا أيضًا على ألا تحكيان ما عرفتا لأحد.. فهو رجل شرير ولكنه أيضًا رجل ميت.

فلتتركا من يريد أن يحزن عليه يحزن.. من يريد أن يعدد صفاته الحميدة فليفعل لن تمنعان أحدًا من البكاء على الأستاذ القدوة.. لن تفضحاه، فالأمر اختلف الآن.

بل ستحزنان أيضًا عليه.. فللميت حرمته.

وبالفعل قد حزنتا .. ولم تأتيا بذِكر المحفظة التي أخذتها نور من علياء لاحقًا لأحدٍ، ولم تفسران ما اكتشفتا لأحد.. ظلَّ الأمر بينهما.

* * *

وفي صباح اليوم الثالث بعد موته.. كانت تتحدث علياء لنور في الهاتف حتي نفذت البطارية فذهبت علياء للتليفون الأرضي ليتحدثا به.. وقد رن الهاتف وهي ذاهبة إليه.. ترد علياء معتذرة:

- لقد نفذت البطارية اعتذر (معتقدة أن الاتصال من نور).

فيرد عليها صوت خشن:

- هل أتحدث مع علياء مصطفى السيد؟

علياء(بارتباك):

- نعم.. من معي؟

فيرد نفس الصوت:

- الرائد سيف المصري.. مباحث عامة.

علياء(بوجوم):

- ماذا؟.. ماذا حدث؟؟

- لا تقلقي.. أردت فقط أن نتحدث قليلًا ولم أرِد أن أرسل لك سيارة شرطة. فأنا أعلم ما تسببه أضواء سيارات الشرطة من إحراج.

- لماذا؟ ماذا حدث؟

- أراكِ غدًا.. في العاشرة.. إلى اللقاء (ويغلق الخط).

* * *

تتصل بعدها علياء بنور وتحكي لها ما حدث وكيف طلب الضابط أن يتقابلا..

فتحاول نور طمأنتها.. ولكنها تفشل.

* * *

في مساء نفس اليوم..

يجلس الشيخ عبد الرحمن بعد صلاة العشاء في المسجد يقرأ وِرده اليومي من القرآن.. فهو – ما شاء الله- محافظ على قراءة نصف جزء من القران يوميًا في نفس الميعاد بعد صلاة العشاء، ولم يقطع ذلك الوِرد يومًا منذ أن بدأه منذ حوالي أربع سنوات..

لم يقطعه حتى منذ يومين عندما توفى صديقه يوسف حمدان.

* * *

(5)

تدخل علياء إلى مكتب سيف بعد أن سمح لها العسكري الواقف أمام المكتب..

سيف(مبتسمًا):

- أهلًا بك.. ماذا تشربين؟

- لا شيء، شكرًا..

يرن الجرس فيأتي العسكري ويقول: اثنين قهوة.. أرى أنك لم تنامي(موجهًا كلامه لها).

- نعم، لم أنَم جيدًا الليلة السابقة وكيف أنام و...

سيف(مقاطعًا وبلهجة جادة):

- أهذا لأنكِ قتلتِ دكتور يوسف؟

(قالت مرتبكة أو قل ارتبكت فقالت): ماذا تقول.. لا يمكن أن..

سيف(مقاطعا بشيء من السماجة):

- أعلم أنك لم تقتليه، إنني أمزح فقط (انفجر ضاحكًا).. فقط أردت أن نتحادث قليلًا كما قلت لك مسبقًا.

اسمعيني جيدًا، الوضع كالتالي.. قام يتمشى بهدوء ويشعل سيجاراته كأنه في عرض مسرحي، ثم أكمل:

- إن الدكتور يوسف رجل غريب حقًا، فهو امتلك الكثير من المال وبدلًا من أن يشتري سيارة ويتزوج حسناء.. اشترى عمارة حولها لمعمل كيميائي..

أكمل (ضاحكًا): ورجل غريب كهذا لا يموت إلا ميتة غريبة فهو مات محروقًا في شقة في الطابق الأول على الرغم من أن بابها كان مفتوحًا، ألم يستطع الهرب منه؟.. ألم يستطع القفز من النافذة؟.. بل إن الطابق الأول مهجور وشقته بالطابق الثالث ماذا دفعه للبقاء في الطابق الأول من الأساس؟

- يمكن أن...

رفع يده بحزم فابتلعت كلامها، وأكمل هو قائلًا:

- لقد شككت في ميتته.. وأجريت تحرياتي وقد عرفت أنك قد ذهبتِ إلى شقته في اليوم السابق للحادثة في حوالي السادسة والنصف مساءً..

- لقد كنت أعيد له محفظته لقد...

سيف(مقاطعًا):

- احكي لي بالتفصيل أرجوكِ.. فكما تعلمين "الشيطان يسكن في التفاصيل".. واعلمي أن القضية قد انتهت على أنها حادثة ولكني أتحدى نفسي ليس إلا..

وإن كان هناك شُبهة جنائية فأتوقع ألا تكوني مشتبهتنا.

قالت: سأحكي كل شيء.

* * *

بعد انتهت من حكاية ما حدث منذ أن ذهبت للدكتور في مكتبه وحتى عادت من منزله.. وكانت منهارة من البكاء وصوتها متقطع، قال سيف بابتسامة:

- لا عليكِ.. وأيًا كان ذلك لا يثبت أي شبهة جنائية.. ولكنه يثير فضولي أكثر.

وأمر العسكري بإحضار عصير ليمون لها.. وتركها وحدها في المكتب وقال لها انتظري حتى تتمالكي نفسكِ وانصرفي.

تجلس وحدها وتشرب عصيرها بيدين مرتجفتين حتى يرن هاتفها فترد بسرعة.. تجد أن أمها تخبرها بأن هناك طرد قد جاء باسمها للمنزل، وأنه لا يمكن استلام الطرد بدون وجودها.

تذهب علياء على الفور للمنزل لترى الطرد.. وتفكر في سلسلة الأحداث الغريبة التي حدثت لها اليوم.. في الصباح تذهب للقِسم وبعدها يصلها طرد.. استغرقت في تفكيرها ونسيت جلستها المرعبة مع الضابط وبدأت في تخمين ما في الطرد وهي في الطريق.

* * *

(6)

تصل علياء للبيت وتجد أن نور قد وصلت قبلها بناء على اتصال أجرته علياء معها..

قد تصورت علياء طوال الطريق أن الطرد حسب خبرتها السابقة من الأفلام لا بد أن يكون صندوقًا متوسط الحجم بغلاف باهت اللون..

ولكن الحقيقة اختلفت كثيرًا.. لقد وجدت سيارة شركة خاصة تقوم بعمل يشبه البريد حيث تصل الطرود إلى أي مكان في الجمهورية بمقابل مادي..

وأعطاها العامل بعد أن رأى إثبات الشخصية ظرفًا أصفر من الورق المقوى، وبعد أن وقَّعَت الاستلام تركها ورحل..

سألتها أمها عن هذا الطرد.. فأجابت بأنه ليس شيئًا هامًا وستخبرها به لاحقًا.

دخلت غرفتها هي ونور.. فتحت الظرف ووجدت أسطوانة وورقة مكتوب فيها:

"جاءك من يوسف حمدان (رحمه الله) كنت أؤجل توصيل هذا الطرد يوميًا.. ليصلك بعد موتي بثلاثة أيام.. أرجو أن يصلك في الموعد..

إمضاء ميت".

نظرات عدم فهم بين نور وعلياء.. تقترح نور مشاهدة الأسطوانة.. فتقوم علياء بإحضار "اللاب توب" الخاص بها وتضع به الأسطوانة.. لم تجدا سوى مقطع صوتي واحد..

وكان صوت الدكتور.

* * *

في نفس الوقت في مكتب سيف.. يجلس سيف غارقًا في بحرٍ من الأوراق أمامه..

يقول: إذن لقد كان أكبر من مجرد أستاذ جامعة.

يسأله ملازم أول علاء:

- ماذا تقصد؟

سيف(وهو يمسك الورق):

- اسمع..

"وقد أتى من بلدته إلى القاهرة ليلتحق بكلية الصيدلة.. وبعد أن أتم دراسته تم تعيينه كمعيد في الجامعة.. وبعد سنتين سافر إلى روسيا لتحضير رسالة الدكتوراه..

ولكنه بقي هناك ما يقرب من عشر سنوات، اخترع فيها العديد من مضادات الفيروسات والاختراعات الطبية، ولكن أهم اختراعاته مسبِّب "متلازمة ستوكهولم"، والمضاد له، وباعه لشركة صينية بمبلغ 12 مليون دولار على ألا يتخطى إنتاجه السنوي نسبة معينة.."

(يثني سيف الأوراق التي كان يقرأ منها): أظن أن موته لم يكن صدفة.

سأله علاء:

- وماذا تقترح؟

- أريدك أن تنزل إلى الحي واجلس في المقهى الذي أمام بيته وانقل لي ما يجري..

أظن أن أحدهم قد رأى شيئًا.

- تمام.

* * *

تسمع نور وعلياء صوت الدكتور قائلًا: "السلام عليكم.. أعلم أنني ميت، وأعلم أن الموتى لا يعودون للحياة (بلهجة ضاحكة). لا تقلقي، أنا بالفعل ميت.. وكنت يوميًا أؤجل إرسال هذا الطرد لمدة ثلاث أيام.. وها قد وصلك.. لا أعلم كيف مت فقد أكون غرقت أو حرقت أو حتى لم يجدوا جثتي.. ولكني أعلم أنني قد قُتِلت.. لا أعلم إن أثارت قضيتي الرأي العام.. أرى أنهم إن دققوا في الماضي سوف يرون الكثير مما يحب الناس أن ترى.. لا أعلم إن علمت شيئًا مما

اخترعت.. ولكن أيًا كان ما وصلك فهو ليس أخطرهم.. وأيًا كان ما صنعت فهو قد تم رغم إرادتي.. قد تتساءلي لماذا أرسلت إليك هذا..

(يسكت قليلًا ليفكر في وصف مناسب).. فلنقل الخطاب.. لكنكِ سوف تفهمين، كل شيء عندما تذهبين أمام منزلي اليوم في الساعة العاشرة مساءً..

(يضحك ويقول) قد تنقذين العالم دون أن تدري "

بعدها توقف الصوت.

* * *

تنظران لبعضهما البعض.. ثم تحدثت نور:

- لا تخبريني أنكِ تفكرين في شيء سوى تسليم هذه الأسطوانة للشرطة.

- حسنًا.. إنني أفكر بالذهاب حيث..

نور(مقاطعة بحدة):

- لا يمكن أن تكوني جادة.. لن تذهبي لأي مكان.. ستسلمين ذلك للشرطة، ولن تخاطري بالذهاب هناك.

- سنذهب لنري قد نكون قد ظلمناه

- وإن ظلمناه هل سيكفِّر ذهابنا ظلمنا له؟

- إنها وصية ميت واجبة التنفيذ.

- ولكنه ليس ميتًا عاد...

علياء(مقاطعة):

- أظنك تضخمين الموضوع.

نور(بانفعال):

- أضخِّم ماذا؟.. عالم غامض لا نعلم إن كان فاسدًا أم لا.. ولكنه اخترع اختراعات مُهلِكة..

وبعد أن مات محروقًا يرسل لكِ رسالة لتذهبي لمكان معين.. فيكون رد فعلك أنك توافقين على الذهاب.

- حسنًا.. اهدئي.

- لن أهدأ حتى تخبريني بأنك لن تذهبي.

- حسنًا.. سأفكر جديًا بعدم الذهاب.

- بل أخبريني أنكِ لن تذهبي.

علياء(بانفعال):

- حسنًا.. لن أذهب.

* * *

(7)

بعد صلاة العشاء..

يجلس الشيخ عبد الرحمن مسندًا ظهره للمنبر يقرأ وِرده اليومي في مصحفه الخاص..

وفي وسط القراءة يقلب الصفحة ليجد ورقة صغيرة مطوية داخل المصحف..

صدَق وفتح الورقة ليقرأها والدهشة تعتريه:

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

من يوسف حمدان(رحمه الله).. أعلم أني مت.. بل قُتِلت إن شئت الدقة.. وأعلم أني عُذِّبت قبل قتلي.. ذلك كل ما أعلمه.. لكني لا أعلم إن قلت لهم ما يريدون.. لكن وإن قلت لهم.. فهناك فرصة لتنقذ ما تبقى.

أنت صديقي الوحيد وتعرف كل شيء أو ذلك ما تظنه أنت.. لكني أخفيت عليك أمرًا واحدًا.. أمرًا حدث أثناء عملي في روسيا.. سوف تصلك "علياء" في الساعة العاشرة مساءً اليوم أمام منزلي.

سوف تحتاج إليها.. طالبة ذكية وستساعدك – إن أتت – .. بالمناسبة قد تسمع عني بعد موتي أشياء لا تتخيلها.. لكنك تعرفني فلا تصدقها..

وأتمنى أن يصلك ذلك في الموعد وألا تؤخر وِردك.. فقد كنت أضع هذا الجواب يوميًا بعد جزء ونصف من علامة توقفك في المصحف.

قد تعتبرها وصية واجبة التنفيذ لكنها ليست كذلك.. فقد تنتهي إلى نفس نهايتي إن قررت مساعدتي، ولكنني أوصيك أن تفكر بعقلك لا بقلبك.. وركِّز في أفعالك وخطط جيدًا.. فالخطوة الأولى الأهم دائمًا.. فالسر يكمن في البدايات دائمًا،

وإن قررت مساعدتي.. فلا تكن مثل:

"فم سعى خلال كتابة، مكان"..

فيقتصر دوره على همهمات مزعجة

أتمنى لك التوفيق

إمضاء ميت".

يمسح وجهه من الدموع ويعيد قراءته أكثر من مرة.. وفي كل مرة يتوقف عند الجزء الأخير فلا يفهمه.

* * *

نور تتصل بعلياء.. أول ما ردَّت علياء تكلمت نور قائلة:

- أخبريني أنك لا زلتِ بالمنزل.

- حسنًا.. أنا بالمنزل.

- ولن تذهبي؟

- لست واثقة.

- لقد اتفقنا مسبقًا على عدم الذهاب.. الله وحده يعلم من ينتظرك هناك.

- ولكننا لا نعرف قد يكون..

نور (مقاطعة):

- ولا يفترض أن نعرف.. يجب أن نذهب للشرطة ونخبرهم.. ألم يستجوبك ذلك الرائد؟ لا تعندي فالذهاب ليس له فائدة..

علياء(مقاطعة بغضب):

- لن أذهب.. سلام.

- سلام.

تجلس علياء لتفكر بالأمر وتجد أن نور لها الحق في أن تخاف.. ولكنها لم تتحكم في فضولها وقررت خوض المغامرة.. تأخذ علياء الأسطوانة والرسالة وتضعهما في المظروف وتقنع والدتها أنها ذاهبة لنور لأنها مريضة وتنزل.

* * *

(8)

نور وعلياء يتحدثان بعدما علمت نور أن علياء فعلت ما كان برأسها.

تقول لها نور:

- ستظلين عنيدة دائمًا.

- قلت لكِ إن شيئا لن يحدث.

- لكنك قلتِ إنك لن تذهبي واتفقنا على أن نبلغ الشرطة.

- لم أستطع الفضول قادني.. ثم ماذا ضرني أن أذهب.. ها أنا علياء كما ذهبت.

نور(باستسلام):

- احكي لي ما حدث.

- ذهبتُ أمام المنزل، وجدت من يقف في انتظاري، وبمجرد أن وقفت هناك حتى سألني إذا كنت علياء فعرَّفته بنفس...

نور(مقاطعة):

- صفِه لي..

علياء(ضاحكة):

- شاب بلحية ولكن أصغر من أن أطلق عليه شيخ.. تعلمين ذلك النوع ذا الابتسامة الدائمة و السبحة والسواك.. ذكي وكان صديق الدكتور..

المهم ولا تقاطعيني مجددًا..

كنا ذاهبين لنجلس في مكان عام، وكان مقدرا للوقت وعرض أن أقابله في يوم آخر في ميعاد مبكر عن ذلك لأن الوقت قد تأخر وأظن أنه كان مشغولًا أيضًا لأن أحد أصدقائه قد استوقفه..

علمت أن اسمه عبد الرحمن، أعطيته المظروف، سألني عما في الأسطوانة فوضَّحت له ما قاله الدكتور في التسجيل الصوتي.. بعدها أعطاني رسالة قد أرسلها له الدكتور أيضًا وكانت...

نور(مقاطِعة):

- هل تتذكرين ما في الرسالة؟

- قلت لك ألا تقاطعيني..

- لن أقاطعكِ، ولكن هل تتذكري ما كان فيها؟

- لا أحتاج لأتذكر ما فيه.. لقد صوَّرت نسخة منها.

نور(بلهفة):

- أين هي؟

علياء(وهي تخرج ورقة من حقيبتها):

- ها هي الرسالة.. اقرأيها ولاحظي إن كان بها خطأ أو شيء يلفت نظركِ..

بعد قليل..

- وإن قررت مساعدتي فلا تكن مثل: فم سعى خلال كتابة، مكان

فيقتصر دوره على همهمات مزعجة"

أظن أن هناك خطأ إملائيًا في هذه الفقرة.. إنها لا تعطي معنى.
علياء(بضحكة):

- وألا يذكرك ذلك بشيء ما؟

أكملت(بحماس):

- إن بها شفرة.. جملة جناس صحفي ولهذا السبب اختارني الدكتور.. لهذا السبب أخبر عبد الرحمن أنه سيحتاجني.

- وهل حللتِها؟؟

- بالطبع؛ عندما رآها عبد الرحمن، ظنَّ أن هناك خطأ إملائيًا أو ما شابه.. ولكني علمت بمجرد النظر أنها سؤال جناس صحفي كأسئلة محاضرات الدكتور لأن هناك شَرطة تحت حرف الميم و حسب قواعد أسئلة الأسبوع ذلك الحرف نبدأ منه الجملة.. وكلمة "مكان" هو وصف الجملة الناتجة.

نور(بحماس):

- صحيح لقد نسيت.. بل لم يمر ذلك على ذهني من الأساس.

- لهذا اختارني أنا (بغرور).

نور (بضحك): وماذا كان الحل؟

- أظنك قادرة على حلها.

- تعلمين أنني لا أصبر على تلك الأمور.

- حسنًا.. يجب أن تعلمي أن الموضوع شديد السرية.. وهناك شرطان لتعرفي حل تلك الرسالة.

- ما هما؟

- أولًا ألَّا تخبري أمي.. والشرط الثاني أن تحضري لي شيكولاتة من التي يأتي بها والدكِ من السفر مقابل تلك المعلومة.

(انطلقا في الضحك لفترة).

نور(بسرعة):

- اتفقنا.. ما هي الجملة.

- الجملة هي "مكتبي خلف الساعة".

نور(تقارنها بما في الرسالة ثم ترد بحماس):

- وهل تظنين أنه مكتب المنزل أم مكتب الكلية؟

- إن المنزل قد احترق ولم يبقَ به شيء وإن كان به شيءٌ فقد اختفى للأبد، وليس أمامنا سوى المكتب في الكلية وقد اتفق..

نور(مقاطعة):

- لا تخبريني أنكِ ستذهبين هناك.

- قلت لكي ألا تقاطعيني هكذا..

نور(بغضب):

- لن تذهبي أليس كذلك؟

- بل سأذهب ماذا سيكون في مكتبه؟ لقد دخلناه من قبل أكثر من مرة.

- لا ليس هكذا...

علياء(مقاطعة):

- إنك تضخمين الموضوع كعادتك.. لقد ذهبنا للمكتب أكثر من مرة أظنك تتذكرين أننا كنا فيه في اليوم السابق لمقتله.

- مقتله؟ هل صدَّقتي أنه قُتِل؟

- حسنًا، لقد علمنا أنه ليس بالبساطة التي يبدو عليها ويخفي لغزًا كبيرًا وراء شخصيته، وكذلك لقد أخبرنا أنه قد قُتِل.

- إنني أسأل سؤالًا واضحًا.. أتعتقدين أنه قد قُتِل؟

- نعم.

- حسنًا.. أظن أنك لن تعارضي إخبار الشرطة بذلك.

- بالطبع سنخبرها، ولكن ليس الآن.

- وماذا تنتظرين؟

- ننتظر أن نعرف ما يريدنا أن نعرف.. إن الصحف قد كتبت عنه الكثير وشوَّهت سُمعته.. قد نجد ما ينقذ سُمعته.

- هذا أمر جيد.. لكن لا تعرِّضي نفسك للخطر.

- حسنًا.. ذلك ما أعدكِ به.

- ولا تدخلي المكتب.. أرسلي عبد الرحمن إليه.

- حسنًا.. سأفكر في ذلك.. ولكن هناك سؤال.

- ما هو؟

- متى أنتظر منك الشيكولاتة؟

(نظرت لها نور ولم ترد وضحكت علياء بقوة).



(9)

في أول الأسبوع التالي، اتفق عبد الرحمن أن يتقابل مع علياء في الكلية..

وعندما تقابلا لم تمتلك علياء دهشتها.. فقد كان يرتدي بدلة واختلف تمامًا عن "الشيخ عبد الرحمن" الذي قابلها أول مرة..

عبد الرحمن(مبتسما):

- السلام عليكم.

علياء(بدهشة):

- لم أكن أعلم أن الشيوخ ترتدي تلك الملابس.

عبد الرحمن(ضاحكًا وهو يمسك ياقته):

- حسنًا.. لقد نسيت أن أغسل الجلباب.

(يقطع الضحك بسؤال):

- حسنًا.. أين مكتب يوسف؟

- إنه لا يظهر من تلك الجهة، سنتجول قليلًا وسيظهر.

- حسنًا.. هيَّا بنا.

بعد قليل.. قالت علياء:

- إنه هناك (وتشير بيدها على نافذة إحدى المكاتب).

- حسنًا.. سأذهب لأرى ما وضعه يوسف وراء الساعة وسنتقابل اليوم.

- تمام.. سنتفق على الهاتف، وكن حذِرًا فلن يقبلوا أن يدخل أحدهم مكتب الدكتور بسهولة خاصة بعد وفاته.

- لا تقلقي (وينصرف).

* * *

في نفس اليوم تجلس علياء تجلس مع عبد الرحمن في أحد المقاهي، تسأله علياء:

- إذن، كيف دخلت المكتب؟

- ببساطة أقنعت موظف الأمن الذي اعترضني، أنني الدكتور عبد الرحمن وأحل محل الدكتور يوسف - رحمه الله- .

- ألم يشك بك أحد أو يطلب إثبات شخصية؟

عبد الرحمن(مبتسمًا):

- ومن يطلب إثبات شخصية من دكتور؟

(وأكمل ضاحكًا):

- أرى أن البدلة قد آتت بنتائج كبيرة.

- وماذا وجدت في الخزنة؟

عبد الرحمن(بتعجب):

- أيَّة خزنة؟.. لا يوجد خزنة.

- لقد توقعت أنها خزنة مختفية خلف ساعة الحائط.

عبد الرحمن(وهو يخرج السواك):

- حسنًا لقد كانت ساعة حائط حقًا.. ولكن ملصق بها من الخلف ورقة..

علياء(مقاطعة باندفاع):

- إذا كان ملتصق بها جواب.. أين هو؟

- اصبري قليلًا.. إنه لم يكن جواب، إنه قِصَّة.. قصاصة ورق بها قصة.

- !!!!!!

– سأقرأه عليك(يخرج الورقة ويفتحها):

"جانب من كتاب كليلة ودمنة..

هو كتاب رائع به الكثير من القصص وقد احتال الفرس أعوام كثيرة ليأخذوا نسخة منه من الهند..

قد أعجبتني إحدى قصصه وأتمنى أن أشارككم بها..

"قال دمنةٌ: زَعَموا أن غَديرًا كانَ فيهِ ثَلاثُ سَمَكاتٍ: كَيِّسَةٌ وأكيَسُ مِنها وعاجِزَةٌ؛ وكان ذلكَ الغَديرُ بِنَجوَةٍ من الأرضِ لا يَكادُ يَقرَبهُ أحدٌ وبِقُربِهِ نَهرٌ جارٍ. فاتَفَقَ أنَّه اجتازَ بذلكَ النَّهرِ صَيادان؛ فأبصَرا الغديرَ، فَتَواعدا أن يَرجِعا إِليهِ بِشِباكِهِما فَيَصيدا ما فيهِ من السمكِ.

فَسَمِعَ السَّمكاتُ قَولَهُما؛ فأمّا أكيَسُهُنَّ لَمّا سَمِعَت قَولَهُما، وارتابَت بِهِما، وتَخَوَّفَت مِنهُما؛ فَلَم تَعرُج على شيءٍ حتى خَرَجَت مِن المَكانِ الَّذي يَدخُلُ فيهِ الماءُ مِن النهرِ إلى الغديرِ.

وأما الكَيّسَةُ فإنها مَكَثَت مَكانَها حتى جاءَ الصيادان؛ فَلَمّا رأتهُما، وعَرَفَت ما يُريدان، ذَهَبَت لِتَخرُجَ مِن حَيثُ يَدخُلُ الماءُ؛ فإذا بِهِما قَد سَدّا ذلك المكانِ فحينئذٍ قالت: فَرَّطتُ، وهذه عاقِبَةُ التَفريطِ؛ فَكَيفَ الحيلةُ على هذهِ الحالِ. وقَلَّما تَنجَحُ حِيلَةُ العَجَلةِ والإرهاقِ ، غَيرَ أنَّ العاقلَ لا يَقنِطُ من منافعَ الرأي، ولا يَيئَسُ على حالٍ، ولا يَدَعُ الرأيَ والجهدَ. ثُمَّ إنّها تَماوَتَت فَطَفَت على وَجهِ الماءِ مُنقَلِبَةٍ على ظَهرِها تارَةً، وتارَةً على بَطنِها؛ فأخَذَها الصيادان فَوَضعاها على الأرضِ بَينَ النهرِ والغديرِ؛ فَوَثَبَت إلى النهرِ فَنَجَت. وأمّا العَاجِزَةُ فَما تَزَلْ في إقبالٍ وإدبارٍ حَتّى صِيدَت"

أعجبتني هذه القصة.. والكيس من يفهم.. "

يقاطعهما أحد العاملين في المقهى ليسألهما على ما يطلبانه.. فيطلب قهوة وتطلب هي عصيرًا على عجل فهي تريد أن تعرف باقي الرسالة.

يستكمل "عبد الرحمن" قراءة:

"فلكل نهر ثنية تغير مجراه.. ولكل جواب كلمة تبين معناه.. ولكل منافق ذلة تكشف نواياه

إمضاء ميت"

(نظر عبد الرحمن لوجه علياء ليرى تعليقها.. وقد رأى الذهول باديًا على وجهها ولم تتكلم).

- ما تعليقك؟

- تعليقي على ماذا؟ إنها قصة عادية وقد قرأتها بالفعل في كتاب كليلة ودمنة منذ فترة

عبد الرحمن(وهو يمد يده ليعطيها الورقة): انظري بها لعل بها إحدى الخدع التي لا أعرفها.

علياء(وهي تنظر بها):

- حسنًا.. إنني أراها عادية.

عبد الرحمن(بهدوء):

- عادية!! ما العادي في أن رجلًا ميتًا وهناك شُبهة في موته قد أرسل إلينا رسالتين منفصلتين لكي نستطيع أن نحل شفرة في جوابه لنصل بها إلى مكتبه ونأخذ قصاصة ورق.. فنجد أن تلك الورقة بها قِصة عن أسماك؟

- لم أقصد عادية بهذا المعني، إنني أقصد أنها غير ما توقعت لا يوجد أي مما يجذب النظر.. باستثناء الجملة الأخيرة والتي أجدها نصيحة لا يو...

(رنين هاتف علياء يقاطع كلامها)..تستأذن من عبد الرحمن لتجد أن أمها هي المتصلة.

بعدما تغلق الهاتف يسألها عبد الرحمن:

- هل تظنين أن هذا الطرد منه أيضًا؟

- بالطبع..

- إذن، سأذهب معك.. وانتظر حين استلام الطرد لنرى ما فيه سويًا.. هل أخبرتكِ والدتك هل هي رسالة أخرى أم طرد؟

- إن شركة "السهم الذهبي" تتمسك بإجراءات الأمان لأقصى حد، فلا يمكن لأحد سوى المستلم أن يرى الطرد.

- حسنًا.. هل اقتربنا؟

- لقد وصلنا تقريبًا.. انتظرني أنت هنا.

* * *

عندما دخلت علياء المنزل، استقبلتها والدتها قائلة:

- استلمي هذا الطرد وادخلي معي.. أريدكِ.

علياء(بعد استلام الطرد والتوقيع وما إلى آخره):

- ماذا هناك يا أمي؟

- ما قصة هذه الطرود؟

- إن الأمر يا أمي..

الأم(مقاطِعة):

- إياك والكذب عليَّ.. إنكِ لم تفلحي قَط في ذلك.. حتى عندما أخبرتِني بذهابك لصديقتك كنت أعلم كذبك، ولكني انتظرت حتى تصارحيني ككل مرة.. ولكنك لم تصارحيني.

- يا أمي إن الموضوع كبير حقًا.. أوعدك أنني سوف أشرح لك الليلة، ولكن اسمحي لي..

- لا خروج قبل أن تشرحي لي.. وافتحي هذا المظروف لأرى ما فيه.

- يا أمي حقًا لا يجب أن تري..

- افتحِه الآن.

- تفتحه وتعطي الجواب الذي بداخله لأمها.

(الأم تقرأ في صمت ثم تتسع عيناها وتصرخ في علياء قائلة):

- اتصلي بعبد الرحمن فليحضر الآن.

علياء(بدهشة):

- أتعرفين عبد الرحمن؟

الأم(بحزم):

- فقط نفِّذي ما أطلبه منكِ.

تتصل به علياء فيأتي من أول الشارع يقف على الباب ويرفض الدخول.. ولكن والدة عليا أصرت..الأم(بحزم):

- سوف أتكلم الآن.. كل ما أقول هو واجب التنفيذ.. ولن يقاطعني أحد..

(والتفت لتوجه الكلام لعبد الرحمن):

- انظر أيها الشيخ أنا لا أعلمك، ولكني أعلم ما قرأت، ابتعد عن ابنتي فورًا..

إن حياتكما معرضتان للقتل طالما بقيتما سويًا وأيا كان ما تفعلانه فهو خطر ولن أسمح لك أن تتسبب في مقتل ابنتي..

ردَّت علياء:

- أظنكِ تفهمين الموضوع بطريقة خطأ.

الأم(وهي تسلّمها الرسالة):

- إذن فسِّري لي.

(تأخذ علياء الجواب وتقرأ ويرتسم على وجهها الذهول).

يتدخل عبد الرحمن في كلامهما قائلًا:

- أريد أن أفهم.

علياء(تقرأ بصوت مرتجف):

"إن وجودكما أصبح مشكلة، اختفيا من التقارير التي تورد إليَّ.. وإلا تكونان في تقرير المشرحة اليوم التالي..

لن تتقابلا أو تتصلا ببعضكما وبالطبع لن تبلّغا الشرطة..

ويا عبد الرحمن إن كنت صديق المرحوم وتريد أن تعرف السِّرَ لماذا تأخذ تلك المسكينة معك.. فهي ليست من الذكاء أو المعرفة بالدكتور لكي تستعين بها.. اتركا هذا الأمر.. أظنني قد أوضحت وجهة نظري و... "

(وهنا اضطربت كلمات علياء وهي تقول: "الكيس من يفهم".

تكاد ترى علامات الاستفهام فوق رأس كل منهما، فعلياء تتساءل عن من هددهما، وكيف عرف تلك الجملة؟

وهل أخطأت حينما سارت في ذلك الأمر من البداية؟

وكيف ستتعامل مع والدتها بعد ذلك الطرد؟

وعبد الرحمن يتساءل عن كيفية معرفة أحد غيرهما بهذه الجملة؟

ومن يكون؟

وكيف يقنع علياء أن تترك له الأمر؟

أما الأم فقد غابت عنها كل الأسئلة إلا سؤال واحد.. من يريد أن يؤذي بنتها؟

* * *

(10)

في اليوم التالي بعد معرفة والدة علياءكل شيء، تجلس هي وعبد الرحمن وعلياء ونور يتناقشون فيما سيفعلون..

الأم: أظن أننا سنسافر لأختي في الإسماعيلية وهناك نبدأ في التفكير.

عبد الرحمن يبتسم ولا يعقب، بينما قالت علياء:

- أتظنينهم بتلك السذاجة؟ إنهم أذكى من ذلك لقد توصلوا لما في رسالة الدكتور لا نعلم كيف؟ ولكنهم توصلوا لما فيها. إن المكوث عند خالتي ليس الحل، ولكني أرى أننا نعطي لهم ما يريدونه وآيا كان فنحن لم نعرف شيئًا بعد.. ونسلمهم رسائل الدكتور وفي كل الأحوال لن يستطيعوا أن يعرفوا سر آخر جواب فنحن لم نعرفه كيف سيعرفونه هم؟

- هذا الحل الأفضل.. ما رأيك يا بني؟(موجهة كلامها لعبد الرحمن).

فيجيبها عبد الرحمن:

- أما الحل الأول فهو قد تم رفضه بالفعل.. وأما الحل الثاني فأنا أرفضه فلن نخسر المعركة دون الحرب يمكن أن نفعل الكثير...

نور(مقاطعة):

- حرب؟ أي حرب هل تعرف ما الهدف وراء كل هذا الأمر؟ هل تمتلك أية فكرة عن الشيء الذي تسعى وراءه؟ قد تكون مزحة سخيفة أو ما شابه.. الدكتور به من الغموض ما يكفي بالتمتع بعد موته بالمزا...

عبد الرحمن(مقاطعًا بغضب):

- كيف لكِ أن تقولي ذلك على يوسف؟ فهو كان من أطيب الناس.. (هنا قام من جلسته) وهل تظنين أنها مزحة؟

فإن كانت خطابات يوسف مزحة فإن هذا الخطاب هو جزء منها، وفي تلك الحالة فهي لا تشكل أي تهديد.. وبالطبع لدي فكرة عما أبحث عنه.. إنني أبحث عما طلب مني صديقي البحث عنه أيا كان وعندي من الثقة به ما يجعلني أؤمن أنه أمر كبير يستحق أن أبذل دمي فيه.. كما فعل هو(ثم انصرف).

علياء موجهة كلامها لنور:

- أيعجبك هذا؟ لقد غضب.

- كنت أقول الحقيقة، إنكما في حرب لهدف غير معلوم.

علياء(بتحدٍ): ولكننا سنخوضها.

الأم(بحزم):

- بل ستنسحبون وتبلغون الشرطة.

ردَّت عليها علياء قائلة:

- إن أخبرنا الشرطة سيظنون أننا قد أخفينا عنهم المعلومات عمدًا.

- هذا أفضل من أن يكتشفوا بأنفسهم.

- سأتشاور مع عبد الرحمن غدًا ونقرر ما سنفعل.

- لن تقابليه.. فقط على الهاتف وستكون آخر مكالماتكما.

ردَّت باستسلام:

- حسنًا..



* * *

(11)

منذ ثلاثة أيام..

يجلس سيف في مكتبه، يضع كومة من الأوراق أمامه ويفكر ويدوِّن بعض الكلمات من وقتٍ لآخر ليذكِّر نفسه بها.. تنتشله طرقات الباب من استغراقه في الأوراق.. يسمح للطارق بالدخول ويرفع رأسه ليراه فيجده الملازم أول علاء.

يدخل علاء سائلًا بتعجب:

- حضرتك هنا منذ أمس؟

سيف(يترك الورق ويتثاءب):

- نعم.

- لماذا؟ إنها حادثة والأمر ليس بذلك الحجم.

سيف(وهو يشعل سيجارة):

- نعم، إنه أكبر من ذلك.. فالمجني عليه ليس شخصًا عاديًا، لقد اخترع العديد من الأشياء التي تجعل الكثيرين يسعون إليه.

- لقد أمرتني أن أراقب المنطقة.. ولكن لا يوجد شيء.. فقط حكايات الغموض التي كان يعيشها وكيف كان طيبًا و...

سيف(مقاطعًا):

- فهمت.. لا شيء مفيد.

- تعلم حضرتك كيف يكِّون الناس هالة من الغموض حول الموتى.. ما بالك بالميت محروقًا.

- حسنًا.. ألم تجد شيئا بسيارته أيضًا؟

- لا شيء.

- حسنًا.. لقد فعلت ما بيدك.. أظن أن حيرتي لن تهدأ الآن.

علاء وهو يشير إلى إحدى الصور على المكتب:

- من هذه التي في الصورة؟

- إنها علياء، أحد الأسماء التي ظهرت كثيرًا أمامي.. فعندما سألت عن الطلاب المفضلين للقتيل في الكلية ظهر اسمها.. وعندما سألت عمن زاره في ليلة الحادثة ظهر اسمها أمامي كذلك..

(يتنهد سيف بعنف ويقول):

- ولكن يبدو في النهاية أنها نهاية مسدودة على الرغم من الشكوك التي تثيرها في نفسي.

- تقصد الشكوك الناتجة عن مقابلاتها لعبد الرحمن؟

سيف(وقد استيقظت حواسه دفعة واحدة):

- ماذا؟؟ قابلت من؟

علاء(بارتباك):

- لقد رأيتها وأنا على القهوة تقابل عبد الرحمن أمام بيت المجني عليه وتسلمه مظروفًا وتذهب معه.

سيف(بغضب وقد أطفأ سيجارته بعنف):

- ولم يثر ذلك أدنى شك لك يا حضرة الضابط؟؟

- بل شككت به، فذهبت وسألته فقال إنها قريبته من بلدته وقد أتت لتسلمه إيجار الأرض.

سيف(وهو يطرق على المكتب بعنف):

- تسلمه الإيجار في منتصف الشهر؟.. هيا بنا الآن.

خرجا من الباب وأغلق سيف الباب بعنف خلفه.

* * *

أجرى سيف بعض الاتصالات حتى عرف أن علياء في منزلها، فأمر علاء أن يذهب للمنطقة ويتحرى عنها ويجمع ما يمكن جمعه عنها ويراقبها طوال اليوم وإن لاحظ أي شيء غريب أن يخبر سيف فورًا..

بعدها بساعة على جهاز اللاسلكي:

- أظن أن هناك أمرًا غريبًا قد حدث اليوم؟

سيف(بحماسة):

- ماذا حدث؟

- هناك شركة بريد خاصة تسمي "السهم الذهبي" قد أتت وانتظرت أمام المنزل ما يزيد عن نصف ساعة أمس حسب أقوال أحد جيران علياء.

- أجرِ لي بحثًا على هذه الشركة، أريد أن أعرف مقرها اليوم.

- ولكنك أمرتني بمراقبة علياء.

- انسَ أي شيء ما عدا هذه الشركة الآن.

- عُلِم وجاري التنفيذ.

* * *

بعدها بقليل، جاء أمر لسيف بالتحقيق في جريمة قتل جديدة.. سائق شاحنة تم قتله عن طريق قناص برصاصة في جبهته على الطريق الصحراوي.

يذهب سيف هناك وبمجرد وصوله يتصل بعلاء ويطلب منه أن يأتي على وجه السرعة.. وعند وصول علاء.. يستقبله سيف قائًلًا:

- وجدتها قبلك (ويشير للسيارة).

علاء(مصدوم):

- إنها سيارة الشركة.

سيف(وهو يشعل سيجارة):

- وسائقها قد قُتِلَ بواسطة قناص.

- وأين يتمركز قناص في هذه الصحراء؟ أظنه سيكون مكشوفًا.

سيف(بسخرية):

- لقد أكثرت من مشاهدة الأفلام .. القناص ليس شرطًا أن يتخفى ويحمل سلاحه في حقيبة آلة الكمان.. قد يكون بمنتهى البساطة من سيارة أمامه.
- انظر.. هناك كاميرا على جانب السيارة.

سيف(وهو ينفث دخان سيجارته):

- أعلم..

- أعتقد أن المدير أو ما شابه يطمئن على وصول الطرود لأصحابها.

- نعم، هناك من يطمئن، ولكنه ليس مدير الشركة.. لأنه لا يوجد مدير للشركة.

علاء(بتعجب):

- لا أفهم..

سيف(يلقي سيجارته على الأرض): سيظل اسم علياء لعنة تظهر في كل الجرائم..

(ثم يوجه كلامه لعلاء):

- هل دخلت الفرقة المسرحية في المدرسة مسبقًا؟

- لا أفهم لكن..

سيف(مقاطعًا بجدية):

- هل مثَّلت مسرحيات في حياتك من قبل؟

- نعم، مرة.. منذ زمن طويل.

سيف(مبتسمًا):

- أرجو أن تكون قد استفدت من تلك التجربة.. لأنك ستحتاجها.

(يطفئ السيجارة بحذائه):

- !!!!!!!!

* * *

في صباح اليوم التالي، سيف يحادث علاء على اللاسلكي قائلًا:

- أين أنت الآن؟

- في الجامعة.. عبد الرحمن وعلياء أمامي.

- جيد لا تتركهما.

- لكنهما انفصلا.

- أين اتجه كل منهما؟

- قابلت علياء نور، واتجهتا لمدرج المحاضرات.. واتجه عبد الرحمن للمبنى الإداري.

- إذن.. اتبع عبد الرحمن.

- لقد دخل مكتب الدكتور.. هل أدخل خلفه؟

- لا.. انتظر.

- لقد خرج.. لم يكمل خمس دقائق.

- كفى، هذا سلم المراقبة لأحد آخر وتعالَ المكتب.

* * *

لاحقًا في نفس اليوم.. تأتي معلومات بوجود علياء وعبد الرحمن في المقهى فيذهب علاء وسيف هناك.. يجلس علاء وسيف في مكان بعيد بحيث يريان عبد الرحمن وعلياء، ولكنهما لا يسمعان شيئًا.

يتكلم علاء قائلًا:

- ولكني لا أعلم لماذا دخل المكتب فهو لم يتأخر؟

- لقد دخل ليأخذ شيئًا..

(أخذ نفسًا من السيجارة) ثم أكمل: شيئًا محددًا.

- ولكننا يجب أن نسمع ما يقولان، أليس كذلك؟

سيف(مستهزئًا):

- لقد تفوقت عليَّ هذه المرة.

علاء(بإحراج):

- حسنًا.

هنا يخرج عبد الرحمن ورقة من جيبه..

* * *

تجلس علياء مع عبد الرحمن ويتناقشان، تتحدث علياء قائلة:

- وماذا وجدت في الخزنة؟

عبد الرحمن(بتعجب):

- أية خزنة؟.. لا يوجد خزنة.

- لقد توقعت أنها خزنة مختفية خلف ساعة الحائط.

عبد الرحمن(وهو يخرج السواك):

- حسنًا، لقد كانت ساعة حائط حقًا.. ولكن ملصق بها من الخلف ورقة..

علياء(مقاطعة باندفاع):

- إذا كان ملتصق بها جواب.. أين هو؟

- اصبري قليلًا.. إنه لم يكن جواب، إنه قصة.. قصاصة ورق بها قصة

- !!!!

- سأقرأه عليك(يخرج الورقة ويفتحها).

* * *

هنا ينادي سيف أحد العاملين بالمقهى ويشرح له أنه ضابط شرطة وأنه يريد أن يسمع أيًا من كلام هذا الرجل(ويشير على عبد الرحمن) ويوصل ما سمع له فورًا..

فذهب العامل وفعل ما طلبه منه سيف، وعاد بعد قليل..

علاء(بلهفة):

- ماذا سمعت؟

العامل(بارتباك):

- لم أسمع شيئًا.

سيف(بابتسامة):

- بالطبع سمعت ولو كلمة.. أيجب عليَّ أن أنعش ذاكرتك؟(بلهجة تهديد).

العامل(بتردد):

- لقد سمعت كلمتين ولكنها دون فائدة.. علاء(مقاطعًا):

- اترك لنا هَمّ تحديد الفائدة.

سيف سائلًا:

- ما هما؟

قال العامل

- "والكَيِس من يفهم"علاء(ينظر لسيف):

- أظن أنه يجب إرسال شخص آخر ليقاطعهما مرة أخرى.

سيف(يضم يديه ويستند عليهما ويكرر بلحن): "الكيس من يفهم.. الكيس من يفهم.. الكيس من يفهم".

هنا يغلق عبد الرحمن الورقة.

(ينظر سيف لعلاء)ويقول: حان موعد مهاراتك المسرحية.. أتمنى أن تنجح في ذلك الاختبار.

(ثُمَّ إنَّها تَماوَتَت فَطَفَت على وَجهِ الماءِ مُنقَلِبَةٍ على ظَهرِها تارَةً، وتارَةً على بَطنِها؛ فأخَذَها الصيادان فوَضعاها على الأرضِ بَينَ النهرِ والغديرِ؛ فَوَثَبَت إلى النهرِ فَنَجَت. وأمّا العَاجِزَةُ فَما تَزَلْ في إقبالٍ وإدبارٍ حَتّى صِيدَت).

أعجبتني هذه القصة.. والكيس من يفهم.. "

يقاطعهما أحد العاملين في المقهى ليسألهما عن ما يطلبانه.. فيطلب قهوة وتطلب هي عصيرًا على عَجَل فهي تريد أن تعرف باقي الرسالة..)

*   *   *

(12)

يسمح سيف للطارق على الباب بالدخول فيجد علاء قد ارتدى زِيًّا أزرق مثل السائق المجني عليه في القضية الأخيرة.. يستقبله سيف قائلًا:

- مناسب تمامًا.. أرى أنك قد وجدت عملًا ما بعد الظهر(ويضحك).

علاء(يبتسم مجامِلًا):

- ولكن ما الفائدة من كل هذا؟

سيف(متجاهلًا السؤال):

- هل أصلحت سيارة البريد؟

- نعم، وأيضًا استبدلنا الكاميرا التي كانت عليها.. ولكني لا أفهم ما ف..

سيف(مقاطعًا):

- هل أنت جاهز؟

- جاهز، ولكني لا أفهم فائدة ما أفعل؟

سيف(متجاهلًا أيضًا):

- هل أنت واثق أنك عندما أوقفت عبد الرحمن عندما قابل علياء، لم ترَ علياء وجهك؟

- نعم.

- هل كنت تسأل على فائدة ما نفعل؟

سيف(متابعًا دون تَرْك وقت لعلاء للإجابة):

- حسنًا، لنقل أنك يجب أن تفهم حتى تتقمص الدور..

(يشعل سيف سيجارة ويتابع):

- الصورة كالأتي، عالم اخترع فيروسات واختراعات طبية خطيرة مات في حريق نشب في منزله..

بعدها تم التواصل بين صديقه وتلميذته المفضلة بعد أن وصل لتلميذته طردًا من شركة بريد والتي ظهر مؤخرًا أنها شركة وهمية ولتكتمل المصادفة تم العثور على السائق مقتولًا ببندقية قنص في الطريق.. ما افتراضك؟

- فلنقل..

سيف(متجاهلًا علاء وهو يطفئ سيجارته):

- افترض أن الحريق ليس حادثة بل جريمة مقصودة، ولكن يبقى السؤال "من له المصلحة في ذلك؟" حسنًا.. لا أحد فهو ليس له من يرثه ولا يوجد له خلافات مع أحد بوجه عام.. ولكن هناك فجوة في حياته.

(هنا قام سيف ليتمشى كعادته):

- هناك سنوات سفره أعتقد أنه قد اكتسب فيها أحد الأعداء بسبب شيء ما قد اخترعه.. وأظن أنه قد جنَّد من يرسل المعلومات لعلياء وعبد الرحمن ليصلا إلى ما اخترعه ويحافظا عليه.

- إنها نظرية جيدة.. ولكن ستظل نظرية.

(يبحث سيف عن سيجارة في علبته ليجدها فارغة فينادي على العسكري الواقف على باب مكتبه ويطلب علبة جديدة) ثم يتحدث قائلًا:

- هناك طريقة واحدة لنتأكد.. خذ هذه الورقة وضعها في مظروف مثل الذي رأيته مع علياء من قبل.. ثم تذهب به إلى منزل علياء لتسلمها إياه كأنه طرد من الشركة..

هل أنت متأكد أنها لم تر وجهك؟

- متأكد.

- حسنًا.. يجب أن تسلِّمها إليها في يدها فبناء على الورقة التي وجدناها في السيارة فهو يطلب رقم البطاقة.. يجب أن تكتبه وحاول أن تسمع أيا ما تستطيع سماعه.

- حسنًا

سيف(مبتسمًا):

- بالتوفيق.

* * *

عبد الرحمن: هل تظنين أن هذا الطرد منه أيضًا؟

علياء: بالطبع

عبد الرحمن: إذن سأذهب معك.. وأنتظر لحين استلام الطرد لنرى ما فيه سويًا.. هل أخبرتكِ والدتك هل هي رسالة أخري أم طرد؟

علياء: إن شركة "السهم الذهبي" تمسك بإجراءات الأمان لأقصى حد فلا يمكن لأحد سوى المستلِم أن يرى الطرد.

عبد الرحمن:حسنًا.. هل اقتربنا؟

علياء: لقد وصلنا تقريبًا.. انتظرني أنت هنا.

* * *

يعود علاء لسيف وقد ابتسم علاء فابتسم سيف مطمئنًا..

سيف(وهو يطفئ سيجارته):

- حسنًا ماذا حدث؟

- سلمتها الطرد ولم تشك في شيء.

- وهل سمعت شيئًا من حديثهما؟

علاء(مترددًا):

- لا

سيف(وهو ينفث دخان سيجارته):

- حسنًا.. أنا لست بطماع، سننتظر الآن.

- ننتظر ماذا؟

(ينظر له سيف بابتسامة ويدخن سيجارته بتلذذ).

*   *   *

(13)

عبد الرحمن يتصل بعلياء بعد أن كانت تتصل به ولا يرد لفترة منذ آخر لقاء في منزلها.. ردَّت علياء فأتاها صوت عبدالرحمن قائلًا:

- السلام عليكم

- وعليكم السلام.. أين كنت؟

- لقد وصلتني رسالة جديدة.. يجب أن نتقابل.

- ماذا؟ رسالة من الدكتور؟

- ليس بالضبط، نتقابل اليوم أمام مدخل جامعة القاهرة.

- لماذا هي بالذات؟

- مزدحمة ولها أكثر من مخرج إن احتجنا للهروب، وبها كثير من المناطق التي يمكن الجلوس فيها منفردًا دون جذب النظر.. ميعادنا الساعة الخامسة، تأكدي من عدم تتبُّع أحد لكِ.

- تمام..

(سيطرت الحماسة على علياء وكأن التهديد لم يكن).

* * *

تقابل عبد الرحمن وعلياء، وبعد أن جلسا.. تكلمت علياء بنبرة اعتذار:

- أتمنى ألا تكون غاضبًا من كلام نور فهي حقًا لا...

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- لا عليكِ.. منذ رأيتها أول مرة وكنت أعلم أنها طيبة، ولكن لا تملك لسانها.

علياء(بفضول):

- أين الرسالة؟

- هيَّا بنا.. لتريها..

- أليست معك؟

عبد الرحمن(وهما يسيران):

- ليست معي، إنها مُرسَلة على مجموعة قد أنشأتها أنا والدكتور منذ سنين على "الفيس بوك" ولم يتابعها الدكتور بعد انشغاله..

- ما اسمها؟

- "عصير الكتب" إنها ملتقى للقراء والقراءة والكت...

علياء(مقاطعة):

- فهمت من الاسم.. ولكن كيف علمت أنها منه.

- هناك ثلاث حسابات لهم حق إدارة المجموعة..

أحدهم لي والآخر للدكتور والثالث باسم المجموعة ولا أحد يعلم كلمة السر إلا أنا وهو.. وقد سألني عليها منذ شهرين تقريبًا واستغربت سؤاله.. وطلب منِّي أن أعلمه إياها إن غيَّرتها مجددًا.

- فهمت.. ولكني أري أنك قد غيَّرت من مظهرك.. إنني لم أتعرَّف عليك في البداية.

عبد الرحمن(مبتسمًا):

- محاولة للتخفي.. فهناك الآن من يحاول أن يؤذينا ولا بد أن نحتاط.

- بعد ارتدائك ملابس الشباب تلك.. وحلاقتك للحيتك.. لا أظن أحدهم قد تعرَّف عليك.

- أنصحك بالمثل.. لا أقصد حلاقة اللحية بالطبع.

(موجة من الضحك وهما خارجان من باب الجامعة ليذهبا لمكان آخر يستطيعان فتح الإنترنت فيه بحرية أكثر).

- كان من الممكن أن تطبع الورقة لتكون معنا في أي وقت.

- إن كلام نور جعلني أفكر فيما نحن فيه.. ولقد رأيت أن الموضوع أكبر مما أعتقد..

فهناك شخص قد قُتِل.. وهناك تهديد لنا أيضًا بالقتل من شخص يعرف الكثير عنَّا.. وهناك سبب جعل الدكتور يرسلها في هذه المرة على المجموعة.

- ما هو؟

عبد الرحمن(بصوت خفيض لنفسه): "لا تضع البيض في سلة واحدة".

علياء(متسائلة):

- ماذا؟

- لقد ردد يوسف دائمًا تلك العبارة.. فإذا سافر فهو يأخذ معه بعض الأموال.. ويرسل الباقي عن طريق حوالة بريدية فلا يضع البيض كله في سلة واحدة.. كذلك كان مُصِرًّا على أن تكون كلمة السر لحساب "الفيس بوك" الخاص المجموعة مختلفة عن كلمة السر الخاصة بنا، وذلك في حالة إن سرق أحد حسابتنا لا يسرق هذا الحساب أيضًا.. وهذا تطبيق آخر لهذه المقولة.

- حسنًا لقد فهمت.. أظن أنه يجب أن أرى هذه الرسالة.. خاصة أننا لم نفهم الرسالة السابقة.

- إنها كانت على مجموعة.. لذلك لم تكن رسالة مكشوفة.. ولذلك اتصلت بك.. لقد أردت أن أكمل وحدي حتي أجنِّبك كل هذا.

علياء(بغضب):

- ليس قرارك وحدك حتى تتصرف ثم...

(سكتت فجأة وتوقفت عن المشي)، وسألته:

- كيف تم إرسال هذه الرسالة؟

- قلت لكِ على المجموعة حيث...

علياء(مقاطعة باندفاع):

- أعرف أنه على مجموعتك ومن حساب لا يعلمه سوى أنت والدكتور، واستطاع الدكتور أن يرسل لك الرسالة.. هل وجدت أي شيء غريب فيما قلت؟

- لا..

- إن الدكتور ميت.. لا يمكنه أن يرسل تلك الرسالة.

- قد يكون أحد معاونيه أو..

علياء(مكمِّلة كلامه):

- أو من هددنا..

- لقد احتطنا جيدًا حتى لا تتم سرقة هذا الحساب.. لا أظن من فتحه قد سرقه، أظنه قد أخذ كلمة السر برضا الدكتور.

- أو بتعذيبه..

عبد الرحمن(موبخًا):

- أيعذبونه لأجل كلمة سر حساب على "الفيس بوك"؟

- لا أعتقد.. ولكني لا أثق أيضًا.

- ولكن ماذا يضرنا إن قرأناها.. وإن كان الأمر ضخمًا لدرجة أن يوسف كان يعلم أنه سيُقتَل.. أتظنين أنه يعتمد علينا فقط؟

- هل تقصد أن هناك من يساعدنا بأوامر الدكتور؟

- ليس بعيدًا، فكما قلت لكِ، يوسف لا يضع البيض كله في سلة واحدة أبدًا.. وإن كان هناك في تلك الرسالة أي شيء يثير الريبة كطلب معلومات عننا مثلًا أو ما شابه سنفهم أنها من أحدٍ غير يوسف.

* * *

عبد الرحمن(وهو يفتح صفحة في موقع تجاري): لقد مسحت رسالته من المجموعة بعد أن نسختها في مكان أمين لأضمن عدم الوصول إليها.. ها هي.

تبدأ علياء القراءة وقد تملَّكها التركيز:

"كلمة أخيرة.. ودعوة مفتوحة للنقاش، سأحكي آخر قصصي وأترك لكم المجال.. أغلبكم قد قرأ عن عالمي الأحياء المشهورين «مندل» و«داروين»، فهما من أشهر علماء الأحياء الآن.. ولكن هذا لم يكن الحال في حياتهما.

فهما عاصرا بعضهما.. ولكن «داروين» قد احتل النصيب الأكبر في الشهرة العالمية لأنه قدَّم ما يحب الناس الكلام عنه.. حيث كانت نظرية التطور التي طرحها «داروين» من أكثر النظريات إثارة للضجة والدراسة وأكسبته شهرة عالمية..

على الرغم من خطئها وتحقيرها للإنسان حيث اعتبر أن الإنسان أصله من حيوان وقد تطوَّر مع مرور الزمن.. ولكن الناس يحبون الموضوعات الجدلية غير المفيدة بوجه عام، بينما تقدَّم «مندل» لاختبار ليكون مدرِّسًا أكثر من مرة وفشل..

وكذلك عندما نشر قوانين الوراثة الناتجة من تجربة البازلاء المشهورة لم تحظَ بأي تقدير علمي.. لانشغال العالم بنظرية التطور لداروين.. ومع مطلع القرن العشرين لاحظ العلماء أهمية ما نشره «مندل»، ولكن بعد موته فلم يتمتع بشهره أو بتقدير أو بمال..

ما أقصده هو قد تجد المخطئ له تأييد ولو على حق المصيب.. كم مرة بحثنا عن أشياء لنجدها مباشرة أمامنا، ولكننا لا نلاحظها لأننا تعوَّدنا على وجودها؟ وسؤالي هو لماذا لا ننظر تحت أقدامنا فما تحت أقدامنا إن تخطيناه لن نستطيع رؤيته ثانية.. لكم الإجابة.

إ.م."

بعدما أنهت علياء الرسالة تحدث عبد الرحمن قائلًا:

- بالطبع، لم يكتب إمضاء ميت لأنها ستلفت النظر إليه.

- فهمت ذلك.. ولكن ما مناسبة هذا الكلام على المجموعة؟

- من عادة المجموعة إقامة النقاشات بين الأعضاء وغالبًا ما أنشر موضوع النقاش من حساب المجموعة.. وهذا لن يراه الناس سوى أحد مواضيع النقاش التي أثرتها.

- حسنًا.. ما رأيك فيما قرأت؟

- لقد قرأته مسبقًا ولا أرى ما يجب أن نراه.. ماذا رأيتِ أنتِ؟

- لا شيء.. إنها الرسالة الثانية التي تقص لنا قصة لا نفهم مغزاها.

- أظن أن الأمل بتلك الرسالتين لأنه لا يوجد رسائل أخرى.

- أفهم ما تقصد.

- جيد.. لأن هذه هي كلمة يوسف الأخيرة كما قال.

* * *

(14)

اليوم التالي يرن هاتف علياء،فيظهر رقم ليس مسجلًا بهاتفها:

- آلو.. من معي؟

ردَّ المتصل:

- إنه أنا عبد الرحمن، لقد غيرت رقم الهاتف، وكذلك يجب أن نقلل اتصالاتنا إلى أقل حدٍّ ممكن، ولن نتقابل حتى نحاول أن نفهم ما المقصود بآخر رسالتين.

- حسنًا.. ولكن إن لم نكتشفها؟

- لن نتواصل.. لا فائدة من وجودنا معًا إلا الوصول إلى ما يريدنا يوسف الوصول إليه، فإن لم نصل إليه لن تكون هناك أيّ نتيجة للتواصل سوى الخطر المحدق بنا...

علياء(مقاطعة):

- حسنًا.. ولكن هذه ليست محاولة لإقصائي..

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- أقسم بالله إنها ليست كذلك.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

وتغلق الخط وتكمل لنفسها: "إن فهمنا الرسائل".

* * *

مرت الأيام رتيبة؛ فبعدما تعودت علياء على مستوى معيَّن من المغامرة والتخفِّي وحل الألغاز عادت للكلية لتجلس في مدرج به المئات مثلها لا يميزها عنهم شيء.. وبمرور الوقت بدأت والدة علياء بالاقتناع بأن علياء قد تركت ذلك الأمر ولم تفتحه مجددًا معها..

وفي اليوم الرابع بعد المكالمة، كانت علياء تجلس عند نور في المنزل.. بدأت علياء تشكو لنور قائلة:

- إنني تعبت.. لا أجد شيئًا مثيرًا في هذه الرسائل.

فردَّت نور قائلة:

- وماذا يهمنا في ذلك؟؟ لقد كانت مغامرة جميلة ولكنها انتهت.. الامتحانات قادمة ويجب أن نستعد جيدًا فقد أضعنا العديد من المحاضرات.

علياء(باستسلام):

- حسنًا، لقد وعدتك كما وعدت عبد الرحمن بالخروج من هذا الموضوع ما دمنا لا نستطيع أن نحل هذه الرسائل.

- أنتِ تعلمين أنني مُحِبة للمغامرة أكثر منك، فما بالك عندما يتعلق الأمر بسلامتك؟!

علياء(تغير الموضوع):

- حسنًا.. أعطني ما نسختِه من محاضرات.

نور(تقوم وتبحث على المكتب):

- ها هي المحاضرات.

(تقوم علياء لتساعدها وتجدان محفظة الدكتور التي كانت معهما من قبل).

* * *

بعد المحاضرة تذهب علياء ونور لمكتب الدكتور لتسألانه عن بعض مما لم تفهماه في المحاضرة، فيرحِّب بهما ويشرح لهما، ثم فجأة وبدون أي مقدمات يستأذن ويذهب ويتركهما في المكتب.

وقبل أن تخرج تجد نور محفظة على الأرض فتفتحها وتمسك البطاقة..

* * *

لم تذهب نور أو علياء للكلية ليومين منذ الحادثة..

وقد اتفقتا أيضًا على ألا تحكيا ما عرفتاه لأحد.. فهو رجل شرير، ولكنه أيضًا رجل ميت.. فلتتركا من يريد أن يحزن عليه يحزن.. من يريد أن يعدد

صفاته الحميدة يفعل، لن تمنعا أحدًا من البكاء على الأستاذ القدوة.. لن تفضحاه فالأمر اختلف الآن.

بل ستحزنان أيضًا عليه.. فللميت حرمته.. وبالفعل قد حزنتا.. ولم تأتيا بذِكر المحفظة التي أخذتها نور من علياء لاحقًا لأحد ولم يفسرًا ما اكتشفتا لأحدٍ

ظلَّ الأمر بينهما.

تمسك علياء المحفظة وتفتحها بفضول وتفرغ ما فيها من أوراق على السرير.. وتقلب كل من علياء ونور في الأوراق وتجد علياء ورقة إعلانية مكتوب بها اسم بنك ومرسوم دائرة حول اسم البنك ومكتوب بجواره: "هنا يكمن السر".

تنظر علياء لنور بعدم فهم وتتصل بعبد الرحمن.. الذي يجيب على الفور

عبد الرحمن(بلهفة):

- هل استطعتِ حلها؟

- لا، ولكنني عرفت شيئًا مهمًا.. هل من الممكن أن تذهب غدًا إلى بنك (.. .) وتعرف لنا هل كان للدكتور حسابٌ به أم لا؟

- هل يمكنني أن أفهم؟

- عندما نتقابل.. إلى اللقاء الآن.

- حسنًا، إلى اللقاء.

بعد غلق الهاتف تنظر علياء لنور لتجد علامة الاستفهام مرسومة على وجهها..

تبتسم علياء وبهدوء:

- هل تعلمين ما سبب ك...

نور(مقاطعة بانفعال):

- لا أعلم، أخبريني بسرعة.

- يكفي أن تعلمي أن في إحدى رسائل للدكتور قال: "فالسِّرُ يكمن في البدايات دائمًا".. هل يوجد بدايات قبل المحفظة ؟

* * *

(ولكنني أوصيك أن تفكر بعقلك لا بقلبك.. وركِّز في أفعالك وخطط جيدًا.. فالخطوة الأولى الأهم دائمًا.. فالسر دائمًا يكمن في البدايات)..

* * *

(15)

في اليوم التالي يتقابل عبد الرحمن مع علياء..

عبد الرحمن:

- حسنًا ما الس...

علياء(مقاطعة بلهفة):

- هل وجدت له حسابًا في البنك؟

عبد الرحمن(مستهزئًا):

- حسنًا.. إن الأمر ليس بهذه البساطة، لا يمكننا أن ندخل البنك ونسأل عن موظف الاستقبال.

ونقول مرحبًا.. (ويرد على نفسه مغيّرا صوته):

- مرحبًا.. هل ليوسف حمدان حساب هنا.. حسنًا إن له حسابًا، هنا أتريد أي معلومات أخرى؟(مغيِّرًا صوته مجددًا).. لا شكرًا.. وننصرف.

علياء(ظهرت خيبة الأمل على وجهها):

- ولكن هذه الخطوة مهمة ويجب أن نتأكد.

- لماذا؟ أنا لا أحب أن تخفي أمرًا عني وخاصة إن كان بالخطورة التي تبدو على وجهك.

علياء(باستنكار):

- هذا كل ما يغضبك؟

- نعم، بالطبع.

- حسنًا.. لقد وجدت في محفظة الدكتور ورقة بها اسم هذا البنك ومكتوب في خلفها:"هنا يكمن السر".

عبد الرحمن(لنفسه): السر يكمن في البدايات.. حسنًا ولكن ماذا أتى بالمحفظة معك؟

- إنها قصة طويلة (وقصت عليه كيف وجدت المحفظة وذهبت لمنزله وكيف طردها).

- حسنًا، إن الأمر مهم حقًا.. سعيد لأن مجهودي لم يذهب بلا فائدة.

- أي مجهود؟

- إننا بالفعل لا يمكن أن ندخل بنك ونسأل عن حساب بهذه البساطة، ولكن هناك صديق لي يعمل بالبنك ولنقل إنه يستطيع الوصول لهذه المعلومات..

علياء(مقاطعة):

- هل عرفت؟

- نعم..

- وهل لديه حساب؟

- لا، ولكن لديه خزنة خاصة.. وسنرى ما بها غدًا.

علياء(تنظر له بعدم رضا وتهز رأسها بالنفي):

- كنت أظنك أذكى من ذلك.. مهما كان نفوذ صديقك لن نستطيع أن ندخل البنك..

ونقول مرحبًا.. مرحبًا(مغيرة صوتها).. أريد أن أرى خزنة الدكتور يو..

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- نعم، يمكن إذا اشترط ذلك في تعاقده على الخزنة.. ولأصحبك معي يجب أن تعلمي أنني الأذكى هنا(ضاحكًا).. ولا أحب أن تخفي عني معلومة مرة ثانية.. إنني القائد هنا.

علياء(مازحة):

- حسنًا، لم تثبت أنك الأذكى حتى الآن.. وكذلك لم أعلم أنك عنصري بهذه الدرجة.

- ليست عنصرية، ولكنها توزيع مهام.. أنا القائد وأنتِ مجرد تابعة.

(وينظر لها باستفزاز).

علياء(ضاحكة):

- القائد؟ هل تعتقد أنك تستطيع أن تتحكم في علاقة طرفها الآخر أنثى؟

عبد الرحمن(بثقة):

- بالطبع، أعتقد ذلك..

- حسنًا، عندما تتزوج سوف تعتقد ذلك أيضًا.. ولكن ليس شرطًا أن يكون اعتقادك صحيحًا.. وتضحك.

* * *

في نفس الوقت يدخل علاء لمكتب سيف..

يسأله سيف:

- هل علمت أن قضية سائق الشاحنة قُيِّدَت ضد مجهول؟

- سمعت ذلك.

- حسنًا، هذه ثاني جريمة قتل لا أستطيع حلها في نفس الشهر، والأدهى من ذلك أنهما مرتبطتان.. بالمناسبة ماذا أتى بك؟

- لقد كدت أنسى.. لقد أمرتنا بمراقبة عبد الرحمن وعلياء ونور في الأيام السابقة إن حدث أي شيء مريب نبلغك به فورًا.

- حسنًا، ماذا حدث؟

- لقد ذهب عبد الرحمن لبنك(...) اليوم.

- وما المريب في ذلك؟

- إنه لم يسحب أموالًا أو شيئًا.. فقط سلَّم على شخص ودخل مكتبه وجلس فترة معه.. إنه حتى لا يملك حسابًا في هذا البنك.

سيف(باستهزاء):

- فعلًا، شيء تافه قد تنساه.

(تغيَّرت ملامحه وقال بانفعال):

- حسنًا، أريده غدًا على مكتبي.

- نستطيع أن نجلبه الآن.. فنحن نراقبه كما أمرت.

سيف(بانفعال شديد):

- أريد موظف البنك ليس عبد الرحمن يا حضرة الضابط.

علاء(بارتباك):

- حسنًا.. سوف نحضره.

- انصرف الآن.

قالها وأشعل سيجارة.

* * *

في اليوم التالي صباحًا.. يذهب عبد الرحمن وعلياء إلى البنك ويقابل عبد الرحمن صديقه..

عبد الرحمن:

- حسنًا يا محمود.. نريد أن نلقي نظرة على ما في الخزنة.

- ولكن، هل معك إثبات شخصية لصاحب الخزانة؟.. فقط أعطها لي لننتهي من الإجراءات سريعًا.

علياء(متدخلة في الحوار):

- إنها معي(وتخرجها من حقيبتها).

محمود:

- حسنًا.. وأعطاها لأحد الموظفين وقال لهما.. أتبعاني.

دخلوا غرفة صغيرة مكوَّنة من حوائط متوازية في جانب كل حائط غرفة زجاجية صغيرة وعليها ستارة سوداء اللون لضمان الخصوصية أثناء فتح الخزنة.

أتى الموظف وأعطى لمحمود إثبات الشخصية مرة أخرى.. قال لهم إنها الخزنة رقم 817 فلنبحث عنها..

بعد قليل وجدوها بمساعدة الموظف.. سألهما الموظف أن يُدخِلا الرقم السري؟

نظر علياء وعبد الرحمن لبعضهما..

تدخل محمود(بعدما لاحظ الارتباك):

- بالطبع تعلم كلمة السر لصديقك أليس كذلك؟

عبد الرحمن(بارتباك): ليس بالضبط.. سأتصل به لأعرفها.. من كم رقم مكونة هي؟

الموظف(بلامبالاة):

- خمس أرقام.

علياء(بتعجب):

- تتصل بمن؟

فطلب محمود منهما الخروج ليستطيعا الاتصال.. فخرجا من الغرفة.. وانطلقا إلى الخارج.

علياء(وهما خارجان):

- تتصل بمن؟ هل جننت؟

- لقد كانت حيلة للخروج.. دون أن يشكوا في أننا لا نملك الوصول لكلمة السر.

- حيلة؟؟ لا أرى حيلة فيما حدث.

- إذن، فقد أثبتت أنني الأذكى هنا.. إن هذه الغرفة كمثلها من غرف الخزن في البنوك العالمية يجب أن تمنع الإشارات اللاسلكية بكافة أنواعهاز

- لماذا؟

- سأضرب لك مثالًا سهلًا.. إن كانت هناك قنبلة في إحدى هذه الخزن.. لن يمكن تفجيرها عن طريق اتصال.. أو ما شابه.

علياء(مازحة):

- حسنًا.. ولكن هذا لا يثبت أنك الأذكى.. فقط معلومات.

- دعينا من هذا.. أين نجد كلمة السر هذه؟

علياء(بثقة):

- في الرسائل بالطبع.

- كيف تعلمين؟

- فكر معي، إن عنوان البنك كان معي طوال الوقت في المحفظة فما فائدة الرسائل غير الكشف عن كلمة السر؟

عبد الرحمن(ضاحكًا):

- أظن أن عقلك لا يزال يعمل.. ولكن ذلك لا يثبت أنكِ الأذكى.

علياء(مبتسمة):

- ولكن يعيدني ذلك إلى المنافسة.

- حسنًا، سنرى من يحل الرسالتين أولًا.

- حسنًا.. أسنقطع اتصالاتنا حتى نحلها؟

- نعم.. خذي حذرك.. وبالتوفيق في امتحاناتك.

- ولكن تحدث مع صديقك واجعله يحتفظ بالبطاقة.. لأننا تركناها معه.

* * *

في نفس اليوم لاحقًا.. سيف ومحمود في غرفة التحقيقات بعد استدعاء محمود.

- تفضل يا أستاذ محمود.

- شكرًا لك.. هل حدث شيء؟ أنا لا أعلم لماذا أنا هنا؟

- سوف نتحدث قليلًا، وأعدك أن الموضوع أبسط مما تتصور.. فكما ترى لا يوجد من يسجِّل ما نكتب.. الموضوع غير رسمي.

- حسنًا، إنه شرف لي أن أتكلم معك.

سيف(وهو يشعل سيجارة): أرى لماذا ترقَّيت في وظيفتك بسرعة.. إنك لبق ومجامل..

ثم سأل فجأة:

- هل تعرف عبد الرحمن؟

- عبد الرحمن من؟

- عبد الرحمن منصور الشرقاوي.

- تقصد الشيخ عبد الرحمن؟

سيف(مبتسمًا):

- نعم، الشيخ عبد الرحمن.. ما صلتك به؟

- نعم.. إنه كان شريك سكن في أولى سنوات الجامعة.. واستمرت صداقتنا لبعد ذلك.

- حسنًا، متى آخر مرة رأيته بها؟

- اليوم، لقد كان عندي اليوم.. منذ ساعة واحدة تقريبًا، أحدثَ شيء؟

- حسنًا، أعلم ذلك.. وأعلم أيضًا أنه كان عندك أمس.. أعجبتني صراحتك

- هل حدث شيء؟

- نعم.. صديقك قاتل والفتاة التي معه تعاونه.

محمود(بعدم تصديق):

- ماذا؟ الشيخ عبد الرحمن؟

- نعم، لقد قتل شخصين حتى الآن.. أريد أن أعرف لماذا أتى لك.
محمود(مرتبكًا):

- حسنًا.. إنه ليس صديقي لهذه الدرجة.. فقط كنا أصدقاء في الجامعة وقد مرت سنين كثيرة على ذلك..

ولقد أتى ليرى ما في خزنة صديقه.. إن هذا ليس مخالفًا لأي قانون.. لقد اشترط صاحب الخزنة أن تكون الخزنة مِلكًا لمن يملك كلمة السر ومعه إثبات شخصي له.. أعلم أنه أمر غير شائع ولكنه قانوني.

- حسنًا، أصدقك.. ماذا كان في الخزنة؟

- لم يفتحاها.. عندما طلبنا كلمة السر لم تكن معهما وخرجا لإجراء مكالمة هاتفية ولم يعودا.

سيف(مبتسمًا وهو يخرج سيجارة): هل تدخن يا أستاذ محمود؟

- لا..

سيف(مازحًا):

- جيد.. بك كل مقومات الزوج المثالي لو لم أزوِّج أختي لكنك تأخرت..

حسنًا.. أريدك أن تركِّز معي.. هذا رقمي احفظه على الاتصال السريع.. عندما يظهر لك ثانية أبلغني.. أنا حتى الآن أصدقك، ولكن إن حاولت أن تساعده سأعتبرك شريكهما.

- لا تقلق، سأبلغك إن رأيته.

- بإمكانك الانصراف الآن.

- حسنًا.. أظن أنه يمكنني المساعدة بشيء أكبر من الاتصال فقط.

(ويخرج من جيبه إثبات شخصية دكتور يوسف):حسناً، تفضل هذه، إنه إثبات شخصية صاحب الخزنة ولن يستطيعا فتحها بدونه.

يأخذها منه:

- شكرًا لك، إنك تساعد العدالة بذلك.

يخرج محمود.. وينظر سيف لعلاء الذي يجلس في جانب الغرفة يستمع ولا يعلق.

تحدث علاء قائلًا:

- لم أكن أعلم أنك تشك بهما.

- لا أشك بهما.. ولكن تلك كانت وسيلة للضغط عليه.. الآن سيخاف منهما لن يصارحهما بشيء.. ألم ترَ كيف كان فخورًا بقولي "إنك تساعد العدالة؟" (ويضحك).

علاء(يبتسم مجاملًا ويقول):

- ولكن المكسب الحقيقي يتمثل بتلك البطاقة.

ردَّ عليه سيف والسيجارة بفمه:

- هذا صحيح.

- هناك أمر آخر.

- ما هو؟

- الضابط المسئول عن مراقبة عبد الرحمن يخبرك بأنه قد أصبح مألوفًا لديه وقد يشك في مراقبته له.. أنبدله بمن يراقب علياء؟

- حسنًا.. إن من يراقب علياء صغير السن.. ويستطيع أن يظهر في الكلية بدون شكوك.. أبدله بمن يراقب نور.. على الرغم من إنني بدأت أعتقد أن نور ليست طرفًا في هذه اللعبة.. لكن ماذا تضرنا مراقبتها؟

- كما تأمر..

خرج علاء فأمسك سيف البطاقة وأخذ يدق بها على المكتب بحركة رتيبة والرضا يملأ وجهه.

* * *

(16)

تمر الأيام وتبدأ الامتحانات.. وبمرور الوقت تقتنع والدة علياء أنها قد تركت موضوع رسائل الدكتور، وتبذل علياء المزيد من الجهد في المذاكرة، لا يؤرقها في كل هذا إلا الرسالتان الأخيرتان..

لقد بذلت فيهما مجهودًا كبيرًا، ولكنها لا تحرز أي تقدم. قرأتْ الرسائل من البداية، وحاولت أن تربطهم ببعض لفهم الرسالتين الأخريتان ولكن لا فائدة، فقررت أن تؤجل النظر فيهما لبعد الامتحانات وقد تبقى أسبوعان وتنتهي الامتحانات.

* * *

في نفس الوقت في مكتب سيف..

يسأل علاء سيفا:

- هل نسيت موضوع عبد الرحمن وعلياء؟

- وكيف أنساه؟ إنه همي الآن.. ولكن هل المراقبة أفادت لك بشيء؟

- لا شيء جديد.. فقط عبد الرحمن بعد أن كان إمام المسجد تركه ولا يؤمّه إلا في أيام الجمعة.. وكذلك يصلي في مساجد مختلفة، أظنه يحتاط بسبب جواب التهديد الذي أرسلناه له.

- وماذا عن علياء و نور؟

- لا شيء.. تذهبان للكلية ولا يوجد ما يثير الريبة.

- حسنًا، فلننتظر.

علاء(بتردد):

- ننتظر ماذا؟

قام سيف من مجلسه وأشعل سيجارته وتكلم بهدوء:

- عندما تصطاد ما شروط الصيد؟

- حسنًا.. يجب أن..

أكمل سيف كلامه دون ترك مساحة لعلاء ليجاوب:

- يجب أن ترمي الطُعم في الماء ثم ننتظر.

- حسنًا.. فهمت ولكن لقد مر وقت طويل.

- لطالما احتاج الصيدُ الصبرَ.

* * *

أتممت نور وعلياء الامتحانات، وفي طريق العودة من الكلية في آخر يوم امتحانات..

علياء محدثة نور بمرح:

- إن حظك ليس جيدًا هذه المرة.. أظنها المرة الأولى.. قالتها وضحكت.

- لماذا؟

- لقد كان عيد ميلادك أمس، ولم يكن من الممكن أن يتم تجهيز حفلة لعيد الميلاد بسبب الامتحان.

ردَّت نور ضاحكة:

- بل حظي أفضل من كل مرة .

- كيف؟

- لأنني سأجهز الحفلة اليوم.. حيث يستطيع الجميع أن يأتوا فهو أول أيام الإجازة.

- هل ستجعلينها كحفلة العام الماضي؟.. فلنكتفي بشيء بيننا وبين صديقاتنا.

- إن والدي لم يحضر عيد ميلاد العام الماضي لسفره، ولهذا...

علياء(مقاطعة):

- فهمت.. أين سيكون الحفل؟

- في نادي (.. .).

- حسنًا سأكون هناك قبل الميعاد.. وكل عام وأنتِ بخير.

نور(بخبث):

- أريدك أن ترتدي أفضل ما عندك.. فأنت لا تعلمين من سيأتي.

نظرت إليها علياء نظرة طويلة ثم قالت:

- من؟

ردَّت عليها نور ضاحكة:

- سامح.. لقد دعوته هو وأصدقاءه وأنت تع...

علياء(مندفعة بين ضحك وغضب):

- لا يمكن أن تدعيه.. كان من الممكن أن تأخذي رأيي.

- رأيك في ماذا؟ لقد دعوت كل من نعرف في الكلية، لماذا لا ندعو سامح معهم؟

قالتها نور ثم نظرت لعلياء نظرة خبث.

ردَّت عليها علياء محاولة أن تدعي اللامبالاة:

- حسنًا، يأتي أو لا يأتي، فهو لا يهمني.. وسأرتدي ما أجده.. لن أرتدي شيئًا مخصصًا.

* * *

بالطبع قد كوَّنتَ وجهة نظر عمن يكون سامح؛ فهو زميلهما في الكلية في نفس الفرقة.. وقد ظهرت من جانبه علامات الإعجاب ناحية علياء منذ أن رآها في حفل العام الأول.. بالطبع لم يلاحظ أنها عرفت هي وصديقاتها منذ أول يوم، فهو لا يعلم الحقيقة القائلة "أي ما تفعل فالأنثى تعرفه".

انتوى في مرة أن يجعل الأمر أوضح قليلًا، حسنًا فلنقل لم يتعد الأمر نيته وحاول أن يدفن الأمر في أعماقه.. ولكن تلك العلامات عندما تظهر لا يمكن سترها.. لقد افتضح أمره.

ولنكن صادقين، فعلياء ظهر عليها بعضٌ من تلك العلامات أيضًا، ولكن لم تتجاوز تلك العلامات صديقتها نور والتي وضعت قاعدتها الخاصة والتي تنص على:"إذا أردت أن تغيظ علياء، فقل لها سامح".. والسبب في أننا لم نسمع اسمه حتى الآن هو أنَّ علياء ونور لستا فتاتين يقضيان وقتهما بالحديث عن الشباب، وكذلك قد بدأت قصتنا في وقت تجري أحداثه بسرعة لم تسمح بذِكر اسمه.. وكذلك لأن نور تدخر سيرته لأوقات إغاظة علياء فقط.

* * *

وفي المساء تستأذن علياء أمها لتذهب لحفل عيد ميلاد نور، وبعد أن ارتدت ملابسها وكانت على وشك الخروج..

سألتها والدتها بخبث:

- هل سيذهب سامح للحفل؟

علياء(بارتباك):

- لا أعلم.

(تنظر والدة علياء مبتسمة وقد رفعت حاجبيها في تشكيك)، فتقول علياء:

- حسنًا.. سيأتي ما دخلي أنا؟

- لا شيء.. بلغي نور تحياتي.

علياء(بانفعال تحاول أن تكتمه):

- لماذا سألتِ؟

الأم(متظاهرة باللامبالاة):

- لا شيء.. ولكن أظن أن المرآة قد تقعرت من كثرة النظر فيها..(ثم تضحك).

علياء(بخجل):

- حسنًا.. إلى اللقاء.

قالتها وذهبت مغلقة الباب خلفها بعنفٍ.

نعم.. لقد أخبرَتْ علياء أمها عن سامح وكيف أراد أن يستوقفها، ولكنها تصنعت الغباء وعدم الملاحظة فالعلاقة بين علياء ووالدتها كعلاقتها بنور.

فجملة "أنا لا أخفي شيئًا عن أمي" إن قالتها علياء ستكون من القليلات اللواتي ينطقن تلك العبارة بصدق.. فهي تصارحها بكل شيء.. وإن أخفت شيئًا عليها تصارحها به فيما بعد.

* * *

تصل علياء للحفل وتدخل لتسلم على زميلاتها في الدفعة.. تسلم على نور وتعطيها الهدية، تتبادلان العناق والقبلات ثم تتصوران بعض الصور..

حسنًا.. أنا لم أصف علياء ولا نور حتى الآن..

فقد انتظرتُ تلك المناسبة لأصفهما وهما في أجمل صورهما..

نور طويلة القامة نسبيًا، بيضاء البشرة، أكثر ما تفعله هو الضحك، وأكثر ما تهتم به هو أناقتها.. وهي بوجه عام جميلة..

قد ارتدت في تلك المناسبة فستانًا وردي اللون جعلها محط أنظار الجميع.. أما علياء فهي جميلة جدًا وذلك في حال إن كان مقياس الجمال لك خفة الروح والتلقائية والذكاء والطيبة..

أما إن كنت من عشاق الجمال المرمري فأظنها لن تجذب انتباهك بهذه الدرجة فهي عادية بدرجة امتياز.

وقد ارتدت الآن فستانًا أسود جعلها أجمل، وبالطبع لم ترتدِ نظارتها في الحفل.

نور قائلة لعلياء بخبث:

- أرى أنك ارتديتِ شيئًا خاصًا.. أليس كذلك؟

علياء(ضاحكة):

- وهل أقبل حضور عيد ميلادكِ بشيء غير خاص؟

نور(بخبث):

- إنه لم يأتِ بَعد.

علياء(متظاهرة باللامبالاة):

- ومن قال إنني أبحث عنه؟

نور(ضاحكة):

- إنني أتكلم عن والدي.

علياء(ضاحكة):

- وعن من تظنيني أتحدث؟

يأتي والد نور ومعه التورتة وتبدأ مراسم عيد الميلاد..

ويخرج والد نور من جيبه شمعتين برقم 2.

يقول(لنور): لم أجد شمعة برقم 22 فتصرفت.. ويضع الشمعتين بجوار بعضهما لتكوِّنا رقم 22.

ويبدأ الجميع في الغناء وفي وسط ألاغاني تتوقف نور مرة واحدة.. ونظرها مثبت على الشموع، وبعد أن انطفأت الأنوار استمرت نور ثابتة كما هي فلاحظتها علياء ولكزتها في قدمها فتنتفض نور ثم تزفر بقوة لتطفئ الشموع.

تسألها علياء باستغراب:

- ماذا هناك؟

نور(بوجوم):

- الشمعة.. أقصد الشمعتين.

علياء: ماذا بهما؟

نور(بسرعة):

- أريدك غدًا ضروري.. أمر يتعلق برسائلك مع الدكتور.

- ماذا؟ لا أفهم..

- أظن أنني فهمت الطريقة التي أحل بها رسائله.. غدًا أريدكِ في منزلي صباحًا.

- حسنًا.. فلنكمل الحفل.

نور(تنظر لعلياء وتتكلم بجدية):

- حسنًا سنكمل الحفل، ولكن أخبريني؟

علياء(بنفس درجة الجدية):

- ماذا؟

- هل أتى سامح؟

(تنظر لها علياء بغيظ وتتركها وتذهب لإحدى زميلاتها وتغرق نور في الضحك).

* * *

(17)

في اليوم التالي تجلس علياء مع نور في بيت نور..

تسأل نور:

- هل أحضرتِ الرسائل؟

- نعم.. نسخ من الرسائل كلها.. لقد كتبت آخر رسالة على الرغم من تحذير عبد الرحمن.

- حسنًا.. أعدكِ بأنه لن يغضب إن حللناها.

- إذن ما هي طريقة الحل؟

- البارحة في الحفل وضع أبي شمعتين برقم 2 لتظهرا 22 أليس كذلك؟

- حسنًا.. لا أرى ما وراء ذلك؟

نور(بتهكم):

- حسنًا، سأنزل إلى مستواكِ الفكري.

علياء(ضاحكة):

- أعتذر عن غبائي، انزلي لمستواي.

- إن الشمعتين رقمان منفصلان وقد كونتا رقمًا واحدًا.

- وماذا في ذلك؟

- أعطني الرسائل.

- ها هي.

(تفرقها نور على السرير وتجلس تنظر فيها وتقول):

- حسنًا إنني على حق.. إنني على حق.

(وأخذ صوتها يعلو حتى توقفت أمام علياء مباشرة).

- ماذا هناك.. أريد أن أفهم؟

نور(بغرور):

- أظنك تريدين حقًا أن تفهمي ماذا اكتشفت.

علياء(بنفاذ صبر):

- بالتأكيد.

- حسنًا.. كيف أستفيد من هذا الموقف؟

علياء(فتحت حقيبتها وأخرجت الشيكولاتة المفضلة لهما):

- أظن هذه كافية

(خطفتها نور وقالت):

- كافية جدًا.. قلت إن الشمعتين كانتا منفصلتين وكوَّنتا شمعة واحدة، كوَّنتا رقمًا واحدًا..

(نظرت في وجه علياء لترى عدم الفهم).

فتكمل:

- حسنًا.. قبل أن يشتريهما والدي، ربما كانتا لستا من صندوقين مختلفين أو حتى من شركتين مختلفين وعلى الرغم من هذا كوَّنتا الرقم..

(نظرت في وجه علياء لترى عدم الفهم قد زاد).

فتكمل:

- أو حتى من رسالتين مختلفتين.

(هنا تنتفض علياء تمسك):

- الرسائل هل تقصدين أنه قد..

(فتقاطعها نور بإيماءة موافقة).

(ترفع علياء رأسها لتنظر لنور ثم تقول):

- إنكِ الأذكى حقًا.. أظنك تقصدين أن تستخدمي الأرقام المرسلة في رسائل الدكتور لنكوِّن كلمة السر.. إنك بالفعل ذكية.

- أعلم ذلك.. اهدئي لنخرج بكلمة السر.. أظنك تتحدين عبد الرحمن.

- هذا صحيح.. لقد كانت كلمة السر من خمسة أرقام.

- حسنًا فلنخرج الأجزاء التي بها أرقام بالترتيب.

- حسنًا.. الخطاب الأول المرسل لي مكتوب به ثلاثة.

"جاءك من يوسف حمدان (رحمه الله) كنت أؤجل توصيل هذا الطرد يوميًا.. ليصلك بعد موتي بثلاثة أيام.. أرجو أن يصلك في الموعد.

إمضاء ميت".

نور(وهي تكتب):

- حسنًا والخطاب الثاني؟

- مكتوب به رقمان وليس رقمًا واحدًا.

نور(تترك القلم):

- ماذا تقولين؟

- مكتوب به واحد وكذلك عشرة.

- حسنًا.. سنكتبها كما هي ونرى في النهاية إن كانوا خمسة أرقام.

- حسنًا، اكتبي 10 و 1.

"أنت صديقي الوحيد وتعرف كل شيء أو ذلك ما تظنه أنت.. لكني أخفيت عليك أمرًا واحدًا.. أمرًا حدث أثناء عملي في روسيا.. سوف تصلك علياء في الساعة 10مساء اليوم أمام منزلي".

- والرسالة الثالثة

- حسنًا.. ثلاثة.

"قال دمنةُ: زَعَموا أن غَديراً كانَ فيهِ ثَلاثُ سَمَكاتٍ: كَيِّسَةٌ وأكيَسُ مِنها وعاجِزَةٌ؛ وكان ذلكَ الغَديرُ بِنَجوَةٍ من الأرضِ لا يَكادُ يَقرَبهُ أحدٌ وبِقُربِهِ نَهرٌ جارٍ".

نور(وهي تسجِّل):

- حسنًا.. الرسالة الأخيرة التي أرسلها الدكتور على المجموعة لعبد الرحمن..

علياء(وهي تقرأ الرسالة): عشرين.

نور :حسنًا.. لدينا (3،3، 20، 1،10) إنهم سبعة أرقام.

"ومع مطلع القرن العشرين لاحظ العلماء أهمية ما نشره «مندل»، ولكن بعد موته فلم يتمتع بشهرة أو بتقدير أو بمال..".

علياء في شماتة:

- حسنًا.. أظنك بعد كل هذا التكريم مخطئة.

- لا يمكن.. هناك رسالة بها رقمان ويظهر لنا رقمان زائدان، تظنين أنها مصادفة؟

علياء(تضع الرسائل أمامها وتقارن بينها):

- لا توجد مصادفة في رسائل الدكتور، لقد أرسل كل رسالة بطريقة محددة لتصل بزمن محدد.. لم يدع مجالًا للمصادفة.

نور: حسنًا.. كيف نختزل 7 أرقام إلى 5 أرقام.

تصرخ علياء بفرحة:

- بإزالة رقمين .

- بهذه البساطة؟

- نعم لا وجود للرقم عشرة.

نور(بعدم فهم):

- كيف؟

- ما الرسالة التي يظهر بها الخروج عن النمط؟

- الرسالة الثانية.

- عظيم.. لماذا؟

- لأن بها رقمين؟

- ليس هذا فقط.. أيضًا أحد الرقمين قد كُتِبَ بالأرقام.. وهذا خروج عن النمط فكل الأرقام الأخرى قد كُتِبَت بالحروف.

نور: صحيح.

- منذ أن بدأت في حل الرسالتين الأخيرتين وهناك ما يؤرقني وأخيرًا فهمته.. لقد قال الدكتور "ولكل جواب كلمة تبين معناه.. ". وكان إحساسي أن في كل جواب كلمة واحدة تكشف عما فيه، وعرفتها الآن، إنها الرقم لذلك هو رقم واحد في الرسالة الذي سنستخدمه؛ الرقم المكتوب بحروف على هيئة كلمة لتكون هي الكلمة التي تكشف المعنى.

- ولكن السؤال الآن كيف سنرتبهم؟

- لدينا 3 و3 و20 و1(وهي تكتبهم على الورقة بخط كبير).. لا يأتي في ذهني غير طريقة واحدة وهي الترتيب تبعًا لزمن استلامهم.

- حسنًا.. ما هي أول رسالة؟

- لا أعلم.

نور(بتعجب):

- ما الذي لا تعلمينه؟

- لا أعلم رسالتي وصلت قبل رسالة عبد الرحمن أم العكس.. سأتصل به لأسأله.

تتصل علياء بعبد الرحمن وتنتظر طويلًا حتى يرد.. وأخيرًا يرد.

علياء مسرعة دون سلام أو كلام:

- السلام عليكم.. أريد أن اعرف متى وصلتك أول رسالة من الدكتور؟

عبد الرحمن(يتأخر في الرد):

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. كيف حالك يا علياء وكيف كان حلك بالامتحانات؟

علياء(بلهفة):

- الحمد لله متى وصلتك الرسالة؟

عبد الرحمن(يتأخر في الرد):

- أي رسالة؟

- أول رسالة أتت من الدكتور.

عبد الرحمن(متأخرًا):

- لقد كانت بعد العشاء، لماذا؟

- لقد اقتربت حقًا من حل لغز الرسالة.. لماذا تتأخر في الرد هكذا؟

عبد الرحمن(يتأخر في الرد مجددًا):

- لقد اتصلتِ في موعد إفطاري(وضحك).

علياء(بعصبية):

- متى وصلتك الرسالة؟

عبد الرحمن(يتأخر في الرد ويتكلم بهدوء):

- لقد وصلتني بعد العشاء.

علياء(بغيظ):

- حسنًا.. إلى اللقاء.

عبد الرحمن(يتأخر في الرد مجددًا):

- إلى اللقاء..

(ثم يتبعها بسرعة): لا تنسي عندما تحلينها أن تخبريني إلى اللقاء.

* * *

بعدما أغلق الهاتف، تحدثت لنور قائلة:

- إنه يدّعي البرود وعد الاهتمام.. أظنه يعلم أنني اقتربت من حلها.

- حسنًا.. سيهتم عندما نحلها.. متى وصلته؟

- حسنًا، لقد وصلته بعدي لقد وصلني الطرد عصرًا وهو بعد العشاء.

- حسنًا سيكون ترتيب الأرقام إذن "31320".

- ولكن إن لم يكن حسب الترتيب الزمني فماذا سيكون؟

علياء(بدون تفكير):

- لا أعلم.. أظن أننا سنعتمد على الحظ في ذلك.

- ألن تتصلي به لتخبريه أنك حللتِها؟

- حسنًا.. لن أخبره الآن لأنه يعاملني باستخفاف ويظن أنني لا أستطيع أن أحقق ما لم يحققه.

نور(بتعجب):

- لقد قلت منذ دقائق إنك تشعرين بأنه يعلم أنك اقتربت من الحل.

- لا أعلم، ولكن لن أخبره الآن.

- بل كلّمِيه الآن لتحرجيه.

علياء(بتردد):

- حسنًا.. (وتتصل بعبد الرحمن وتفتح السماعة الخارجية لتسمع نور المكالمة).

علياء: السلام عليكم

يرد عبد الرحمن(بهدوء):

- وعليكم السلام، هل عرفتِ الرقم السري؟

علياء(بثقة):

- نعم.. وهذا يثبت أنني الأذكى.

- هل هو خمس أرقام؟

- نعم.. ألا تريد أن تعرفه؟

عبد الرحمن(بنفس البرود):

- بالطبع أريد.. ما هو؟

علياء: 31..

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- 320.. إنني أعرفه منذ أكثر من أسبوع.

(تنظر علياء لنور بصدمة):

- كيف عرفت؟

- لكل منا طريقته الخاصة.

علياء: ولماذا لم تخبرني؟

عبد الرحمن(بهدوء):

- لقد كنتِ بفترة امتحانات ولا يصح أن أشغلك بذلك الأمر..

علياء(بوجوم):

- حسنًا.. إلى اللقاء.

- لا تحزني، فقد تثبتين جدارتك في اختبار لاحق.. إلى اللقاء.

(تنظر علياء لنور بوجوم ثم تجمع الرسائل وتضعهم بالحقيبة بدون أي كلمة).

* * *

(18)

في اليوم التالي الساعة السادسة صباحًا يرن هاتف علياء..

علياء(بصوت ناعس):

- آلو..

يأتيها صوت عبد الرحمن قائلًا:

- آسف على الإزعاج.. ولكن استيقظي فإن الأمر هام.

- ماذا هناك؟

- أريدكِ أن تنظري من الشرفة، وأخبريني إن رأيت أي رجل غريب يقف أمام المنزل.

(قامت علياء بسرعة والخوف يتملكها):

- ماذا هناك؟

- لا شيء، فقط أخبريني.

- لا أرى أحدًا، والشارع خالي تمامًا.. إنها السادسة صباحًا.

- حسنًا.. إننا تحت المراقبة وكذلك صديقتك نور.

- ماذا؟ من يراقبنا؟

- لا أعلم، ولكنهم بالطبع من أرسلوا رسالة التهديد.

علياء(بعدم تصديق):

- هل أنت متأكد أننا مراقبون.

- نعم.. إنني لاحظت رجلًا يتتبعني وقد صليت بمساجد مختلفة وكلما صليت بمسجد أجده ينتظرني أمامه.

- هل هذا من فترة قريبة؟.. فنحن لم نتقابل منذ فترة ولعلهم صدَّقوا أننا تركنا هذا الموضوع.

- هذا ما اعتقدته أيضًا في البداية.. لذلك أتيت إلى عيد ميلاد نور ولقد رأيت من كان يراقبني هناك.. فاستنتجت أنه قد تم توكيله بمراقبة نور لأنني قد كشفته.

- لماذا لم تفترض أنه تم توكيله بمراقبتي أنا؟

- لأنك أتيتِ بعد ذلك بفترة.

- حسنا.. ولكني لا أرى أحدًا.

- حسنًا.. أريدكِ أن تخرجي إلى الشرفة كل فترة.. وأعطِني ميعادًا تقريبيًا لوصوله.

- وما الحل؟ إننا لن نستطيع أن نذهب للبنك بهذه الطريقة.

- إنني أعمل على خطة وسأبلغك بها بمجرد أن أتممها.

- حسنًا.. ولكن لم يأتِ أحد حتي الآن.

- سننتظر كحد أقصى حتي التاسعة فمن يراقبك كان يأتي قبل التاسعة حتى يراقبك وأنتِ في طريقك للكلية.. سأتصل بك كل نصف ساعة اتفقنا؟

علياء(بخجل):

- حسنًا.. هل يمكن ألا تغلق الخط؟ فأمي في زيارة لخالتي وأنا وحدي بالمنزل..

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- حسنًا.. لا تقلقي.

- شكرًا.. ولكن تعتقد لماذا لَم يقتلونا حتى الآن ويكتفون بمراقبتنا؟

- لأننا سنلفت الأنظار أكثر من اللازم.. فأنا صديق الدكتور وأنتِ تلميذته المفضلة، وسنكون قد قُتِلنا بعد حادثة الدكتور بفترة قصيرة ماذا ستظن الشرطة في اعتقادك؟

- لماذا لم تخبرني في مكالمتنا الفائتة؟

- كان من الممكن أن أخبرك، ولكن كان سيتغير أسلوبك بما يفضح ما أخطط له.. الآن أخبركِ لأن خطتي اقتربت لنقطة التنفيذ.

(تعددت المواضيع على الهاتف حيث بقيا أكثر من ساعة ونصف حتى الآن).

- أتعلم.. عندما أتعامل معك أجدك شابًا صغيرًا بروحك ولست شيخًا كما يدعوك الناس.

- إنني أكبرك بعشر سنوات تقريبًا.. لم أصل لمرحلة الشيخوخة بعد ولقب شيخ هذا يأتي بعد أن خطبت في الناس الجمعة ليس إلا.

- لست أقصد السن.. إن تصوُّري عن الشيخ هو رجل صارم لا يتصرف كما تتصرف.

- وماذا في تصرفاتي؟

- يكفي موضوع المجموعة الخاصة بك على "الفيس بوك". لم أرَ شيخًا له مجموعة على "الفيس بوك".

- إن الإنترنت بوجه عام ليس حرامًا كي لا أستخدمه.. هو فقط مثل الفنجان..

قد نستخدمه في شُرب الماء وقد نستخدمه في شُرب الخمر.

- حسنًا.. أوافقك مع وجود تحفُّظ صغير.

- وما هو؟

- أننا لا نشرب الخمر أو الماء في الفنجان(وتضحك).

- حسنًا.. سأغلق الخط ولا أريد أن أعرف متى سيصل.. بل سأبلغ عنك بنفسي.
(فاستمرت علياء في الضحك):

- إن هذا التشبيه كان لشيخي الذي تتلمذت على يديه.. وكان دائمًا يستخدمه في حال إن سأله أحد عن استخدام أي من الاختراعات الحديثة.

- أرى.. أنه قد أثَّر بك كثيرًا.

- بالطبع.. فلقد أرسلني أبي له وأنا في العاشرة من عمري.. وقد لازمته حتى دخولي الكلية هنا في القاهرة.

- ما أكثر المواقف التي لا تنساها مع شيخك؟

- كنت في السادسة عشر تقريبًا، وكان شيخي يجلس مع صديق له ونحن نجلس من حولهما.. حينما أراد الشيخ أن يتفاخر بنا أمام صديقه فسألنا سؤالًا وطلب من كل منا إجابه مختلفة.

- وماذا كان السؤال؟

- لقد سأل إن كان بيدك أن تدعو لسبيل الله فما هي أسهل طريقة تجذب بها أكبر عدد للإسلام بفرض أن الموارد لن تعارضك.

وبالطبع تعددت الإجابات من دعوة بالرفق والموعظة الحسنة ومن قال المعاملة الحسنة ومن قال أن نهاجر بجماعات في بلاد غير المسلمين.. حتى جاء دوري وقد قيلت جميع الإجابات المعقولة التي قد تقال.. وتبقى معي فكرتي الوحيدة التي فكرت فيها منذ زمن، فسألني الشيخ "ماذا تقترح؟"، فأجبت بتلقائية: "سنحاول استهداف الكعبة الشريفة.. نطلق عليها صاروخ شديد التدمير".

علياء(بدهشة): ماذا؟

عبد الرحمن(ضاحكًا):

- هذا كان رد فعل الحضور كلهم.. فأوضحت لهم أن للبيت ربًا يحميه، فإن أطلقت صاروخًا على الكعبة.. فسيدمر كل ما حول الكعبة وتظل هي لا يمسسها سوء.. هذا سيقنع الناس بالإسلام.

- حسنًا.. إنها نظرية جيدة (وتضحك).

- هذا لم يكن رد فعل الشيخ.. فلقد ضربني بعكازه على رأسي ضربة جعلت الدماء تسيل منه.

(تضحك بشدة):

- أرى أنك تتحسس رأسك الآن.

- حسنًا.. لقد أنزلت يدي.

واستمرا في الحديث لفترة، وأثناء حديثهما قالت له علياءبتوتر:

- هناك رجل يقف أمام العمارة.

- حسنًا.. الآن سوف تنزلين وتتأكدين أنه يتبعك وترجعين كأنك تشترين أي طلبات.

علياء(بانفعال):

- بالطبع لن أنزل.

عبد الرحمن(يضحك):

- بالطبع لا.. فقط كنت أمزح.

- حسنًا.. أغلق الخط وأنا أريده أن يراقبني.

(فيزيد عبد الرحمن من الضحك)..

بعدها بقليل، يقول عبد الرحمن:

- إذن يأتي الساعة الثامنة والنصف

- حسنًا.. سأخبر نور.

- هل أنتِ متأكدة أنها لن تذهب للشرطة؟

- لا تقلق إنها صديقتي أنا واثقة بها.. عندما أقابلك أريد أن أحدِّثك في موضوع.

- ما هو؟؟

- لا يمكن على الهاتف.

- حسنًا، خذي حذركِ.. إلى اللقاء.

- وأنت أيضًا.. إلى اللقاء.

* * *

أغلقت علياء مع عبد الرحمن الخط وقامت بالاتصال بنور:

- صباح الخير

ردَّت عليها نور بصوت ناعس:

- صباح النور.. ماذا هناك؟ إننا في إجازة أريد أن أنام قليلًا.

- أعلم، ولكني أريد أن أقابلك.

- حسنًا، سأنتظرك الساعة الواحدة.. بعد أن آخذ قسطًا من النوم.

- حسنًا.

وأغلقت الخط.

* * *

(19)

الأربعاء الساعة 1:30 ظهرًا في منزل نور.. تسأل نور علياء في فضول:

- ماذا هناك؟

- سأخبرك شيئًا، ولكن تصرَّفي بهدوء.

- ماذا هناك؟

- إننا مراقبون

نور(بانفعال):

- ماذا؟.. من يراقبنا؟ ولماذا؟

- أنا و عبد الرحمن، وأنتِ، وأظن أن من يراقبنا هو من أرسل خطاب التهديد.

- لنذهب للشرطة.

- أظن أن من أسباب بقائنا على قيد الحياة عدم ذهابنا للشرطة.

- ماذا تقصدين؟ أيمكن أن يقتلونا؟

- ممكن..

- لقد أخبرتك مسبقًا.. لماذا تستمرين في هذا؟

- لأن الدكتور اختارني والموضوع ضخم لقد وصل لحد القتل.. هل أضمن منك عدم الذهاب للشرطة إلا بعلمنا؟

- ولكن كيف أتصرف؟

- كأنني لم أخبرك.

- كيف؟ إنني قد أُقتَل في أي وقت.

- أعدك بالتصرف سريعًا.

- سريعًا لأي حد؟

يقاطعهما رنين هاتف علياء، فترى من المتصل وتخبر نور بأنه عبد الرحمن، ثم تفتح الخط وترد عليه فيأتيها صوته:

- السلام عليكم..

- وعليكم السلام.. أيوجد جديد؟

- أريدكما ألا تتحركا اليوم من المنزل إلا للضرورة .

- لماذا؟

- سأواجه من يراقبني اليوم.. وأخشى من نتائج تلك المواجهة عليكما.
- حسنًا.. سأكون في المنزل في غضون نصف ساعة.

- حسنًا.. مناسب جدًا.

- كن حذِرًا.

- بإذن الله.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

تنهي علياء المكالمة وتنظر لنور، فتسألها نور:

- إلى أي حدٍّ ستكون سرعة تصرفك؟

- إن عبد الرحمن بدأ فعلًا بالتصرف.

- حسنًا، آمل أن يكون سريعًا بالدرجة الكافية.. لأنني سأذهب للشرطة غدًا.

- لا يمكن.. قد يتهموننا بتضليل العدالة.. بل قد يتهموننا بقتل الدكتور.

- أيًا كان ما سيحدث، أفضل من أن نُقتَل جميعًا.. هذا من أجلنا جميعًا ليس من أجلي فقط.

* * *

الواحدة والنصف ظهرًا في مكتب الرائد سيف..

يجلس علاء وسيف، يقوم الأول بقراءة تقارير المراقبة ويعرف سيف أن عبد الرحمن قد ذهب لعيد ميلاد نور ولكنه لم يدخل الحفل.

يسأله علاء:

- ما رأي حضرتك؟

سيف يشعل سيجارة ثم يجيب على سؤال علاء:

- إن الأمر يصعب وصفه. في البداية كنت أتهمهم بجريمة القتل، ولكن بعد وقت تأكدت من براءتهم، ولكنهم استمروا بالاتصال ببعضهم البعض.. ومنذ فترة انقطع الاتصال بين علياء و عبد الرحمن.. ولكن أكثر شيء أصبحت أعلمه أن نور ليست طرفًا في هذه المعادلة.. أظننا سنستعين بها قريبًا.

- نستعين بها في ماذا؟ إننا لا نعلم ماذا نطارد.

- بل نعلم.. هناك شيء في البنك يريدونه بشدة.. وبالطبع لا يمكن لنا أن نرى ما فيه لأنها ملكيات خاصة بالبنك وقواعد الخصوصية وما إلى آخره.

(يزفر دخان سجائره بعنف ويتابع): ولكنني أعتقد أن ما في الخزانة يخص اختراعات الدكتور.

- أظن ذلك أيضًا، ولكننا يمكن أن نأتي بهما هنا ونواجههما بما نعرف.

- يمكننا، ولكننا لن نكتشف ما بداخل الخزانة أبدًا.

- حسنًا.. فلننتظر.

سيف (مبتسمًا): بدأت تتعلم.

* * *

الواحدة والنصف ظهرًا في القهوة المواجهة لبيت عبد الرحمن..

يجلس عبد الرحمن على القهوة يشرب شايًا ويجلس معه أصدقاؤه بعد أن جمعهم لأنه يحتاجهم في أمرٍ ما..

يبدأ عبد الرحمن الحديث قائلًا:

- أترون الرجل الجالس هناك(يشير برأسه تجاه من يراقبه) أريد أن أعرف من هو.. افتعلوا معه أي مشكلة، ولكن لا تؤذوه أريد فقط معرفة هويته.

بعدها بقليل قام أصدقاؤه وبهدوء ركل أحدهم "الشيشة" الموجودة أمام الرجل وكأنها صدفة وبدأ في افتعال المشكلة.

وعبد الرحمن يشرب الشاي بهدوء ويتابع ما يحدث، حتى وصل الأمر لإحاطة أصدقاء عبد الرحمن بالرجل..

فصرخ الرجل: ماذا تفعلون.. إنني أعمل مع الشرطة وأستطيع أن أجعلكم تمضون ليلتكم في السجن.

هنا تفرَّق أصدقاء عبد الرحمن كأن شيئًا لم يكن.. كأنهم خائفون من تهديد الرجل فمهمتهم تمت بنجاح.. وعلموا هويته..فيقوم عبد الرحمن ويذهب لمنزله منسحبًا بصدمته.. فهو لم يتوقع أن مهدِدوه من الشرطة.. ولكن فهم في نفس الوقت أن سيف وراء كل ذلك.

* * *

في اليوم التالي الساعة 6:30 صباحًا، يرن هاتف علياء.. ردت علياء فجاءها صوت عبد الرحمن:

- السلام عليكم .

- وعليكم السلام.. ماذا هناك؟

- أنا في الطريق إليكِ.. جهزي نفسكِ لأننا سنخرج.

- كيف؟ ومراقبوننا؟

- لا يأتون قبل الثامنة والنصف ألا تتذكرين؟

- حسنًا.. سأكون جاهزة.

بعدها بقليل يتقابلان ويذهبان لأحد المطاعم المفتوحة 24 ساعة.

يتحدث عبد الرحمن أخيرًا مجيبًا على كل التساؤلات التي ظهرت على وجه علياء:

- إنهم من الشرطة..

- من هُم؟

- من يراقبوننا.

- لا يمكن.. كيف؟ هل أنت متأكد؟

- نعم.. متأكد.

- ولكن لماذا لا يطلبون حضورنا؟

- لقد كوَّنت نظرية، إنهم يعلمون كل شيء نفعله ويراقبوننا منذ البداية، ولكنهم بانتظار أن نخرج ما في الخزانة من البنك ليأخذوه.

- وكيف التصرف؟

- هناك خطة وحيدة.. ولكننا نحتاج فيها لنور.

- نور؟ مستحيل، إنها ستذهب للشرطة اليوم لا يمكن أن أجعلها تتعاون.

- إنها فرصتنا الوحيدة، إما أن تحاولي معها أو نفشل ويضيع ما في الخزانة للأبد.

- حسنًا سأحاول.. ولكن ماذا يوجد في الخزانة؟

- علي سبيل التأكيد لا أعلم، ولكنني أتخيل أن هناك مصلًا أو اختراعًا أيا كان، قد اخترعه يوسف ويخشى أن يقع في الأيدي التي تسيء استخدامه.

- ولماذا اخترعه من البداية؟

- هل تعلمين أمر "متلازمة ستوكهولم"؟

- نعم..

- هل تعلمين بكم باعه؟

- 12 مليون .

عبد الرحمن(مكملًا):

- دولار.. إنني أعلم يوسف من زمن ولكنني لم أدخل شقته ولو لمرة.. ولكن أؤكد لكي أن هذا المبلغ لم يصرفه يوسف على نفسه.

- أعتقد هذا.. فهو لم يكن يهتم حتى بهيأته.

- هل تعلمين ماذا أتصور؟.. أنه قد اخترع هذا الاختراع ليبيعه ليستخدم أمواله فيما بعد في شيء أكبر.

- كيف اخترعه؟ أظن أن الأمر نفسي أكثر منه بدني، أقصد كيف تخترع شيئًا يجعلك تحب أو تكره.

- أظن هذا ما جعله يباع وهو تحت التجربة بهذا الثمن.. ولكن يوسف كان من صفوة علماء العالم في مجاله.. هذا ما أؤكده لكِ.

- أظن أننا قد ننقذ العالم ونحن لا ندري.

- يجب أن تقنعي نور بأن تذهب للبنك هي لتأخذ ما في الخزانة.

- ولكنها مراقبة أليس كذلك؟

- ستفتح حسابًا في البنك وتذهب إليه باستمرار.. وفي مرة ستأخذ ما في الخزانة وتسلمه لنا.

- سأحاول أن أقنعها.. وإن كانت هذه الطريقة بدائية ولكني سأحاول.

- حسنًا.

(يضحك ويقول) قد تنقذين العالم دون أن تدري

* * *

(20)

الخميس الساعة العاشرة صباحًا.. تصل علياء لمنزل نور وتتحدثان وقتًا طويلًا وبعدها تنزل نور من البيت مسرعة والغضب ظاهر على وجهها ثم تتبعها علياء بسرعة وهي تنادي عليها:

- انتظري قليلًا.. إنك ستدخلينني السجن إن ذهبتِ.

نور(تقف في الشارع وترد):

- إن الشرطة تراقبكما ويعلمون خطواتكما ولا نية لي أن أدخل السجن.

تتركها وتسير مكملة: إنهم لا يشكّون بي إلى الآن وسيصدقونني.

علياء(بصوت عالٍ):

- تعلمين أنك صديقتي ولن أسمح لأحد أن يضرك.. ذهابك للبنك لا يوجد به أي خطر عليك.

(تقف نور وتنظر لعلياء ثم تقول):

- إنني أفعل هذا من أجلك قبل أن يكون من أجلي.

(وتتركها وتذهب).

* * *

بعدها بقليل في مكتب سيف..

(يدخل علاء مندفعًا):

- هناك أخبار هامة

سيف(باهتمام):

- ماذا هناك؟

- إن مراقبي علياء ونور يبلغوننا بأنهما اختلفتا، وأن نور في طريقها إلينا الآن.

- في أي شيءاختلفتا؟

- يقولان إنهما اختلفتا بخصوص حضور نور للبنك.. ويقولون أيضًا إن نور وعلياء تعلمان أن علياء وعبد الرحمن مراقبان.

- حسنًا.. لقد اتضحت الرؤية، اسحب المكلَّف بمراقبة نور الآن.

علاء: تمام.. ولكن لماذا؟

سيف(بغضب):

- نفِّذ ما أقوله لك.

علاء(بارتباك):

- تمام حضرتك (ويمسك جهازه اللاسلكي ليبلغ الأوامر).في حين يقول سيف: إنها تظن أنها غير مراقبة ولهذا تأتي إلينا..

* * *

(بعدها بقليل تدخل نور المكتب)، يستقبلها سيف قائلًا:

- أهلًا يا نور.

نور(تتصنع الاندهاش):

- هل تعرفني؟

سيف(ضاحكًا):

- وهل تظنين أنني لا أعرف صديقة علياء؟

- حسنًا.. إنني هنا بخصوص علياء.

- أعلم.. فقد وردتنا أنباء اختلافكما.

نور(بانفعال):

- إنها غبية.. تستمر في شيء لا تملك القدرة على تحمُّله ولا تعلم نهايته أيضًا.

- أريد منكِ أن تشرحي لي الأمر منذ البداية.

نور(بتردد):

- حسنًا.. ولكن هل تعدني أن تتغاضى عمَّا بدرَ من علياء؟

- إن لم تؤذِ أحدًا سأعتبرها قد أتت معك وساعدتنا.

نور(بارتياح):

- حسنًا.. الأمر بدأ منذ أن وجدنا محفظة للدكتور يوسف –الله يرحمه- وبعدها بدأت تلك الرسائل تصلها منه.

سيف: ممن الرسائل؟

نور: من الدكتور.

سيف(بحماس):

- حسنًا.. متى وصلتها أول رسالة؟

- لا أعلم التاريخ بالتحديد، ولكنها وصلت في نفس اليوم التي أتت فيه للمكتب هنا.

- هل تعلمين كم رسالة هم؟

- أربع رسائل.

- حسنًا.. كم منها أتى من شركة السهم الذهبي؟

نور(مصدومة):

- كيف عرفتها؟

ينظر لها سيف مبتسمًا بثقة، فتقول نور:

- حسنًا إنها واحدة فقط.. ولكن أتت بعدها رسالة تهديد عن طريق نفس الشركة وهذا ما أتى بي إلى هنا.

سيف(يكتب في الورقة):

- حسنًا.. واحدة فقط.. يكمل سائلًا:

- هل تعلمين ما في خزانة البنك؟

- لا أعلم، ولكن علياء قالت لي إنه قد يكون اختراع للدكتور ولكنه شيئًا كبيرًا.. فالدكتور قد قُتِلَ في سبيل هذا.

سيف(باهتمام):

- من أخبركِ بهذا؟

- هو أخبرنا بهذا في رسائله.. ولكن بخصوص التهديد.. إن علياء وعبد الرحمن قد يُقتلان في أي وقت.

سيف(يقوم وهو يشعل سيجارته ويتمشى في المكتب):

- حسنًا.. إنني لا أميل للضغوط النفسية، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة.

- لا أفهم.. هل أنت من أرسلت رسالة التهديد؟

سيف(بهدوء وهو ينفث دخان سيجارته):

- نعم.. ولكن هذا لا يعني أنك قد أخطأتِ بمجيئك هنا.. لماذا اختلفت مع علياء؟

- إنها تريدني أن أذهب للبنك لأحضر ما في الخزنة.. ولكن لماذا أرسلت الخطاب؟

- لكي يثق بنا أحدكم.. هل معكِ كلمة سر الخزنة؟

- إنها مع علياء وعبد الرحمن.. كانت في الرسائل عن طريق شفرات استطاعا حلها.

وهل معك إثبات الشخصية؟

- إنه مع موظف البنك وهو صديق عبد الرحمن وقد أخبره عبد الرحمن مسبقًا بالاحتفاظ بالبطاقة حتى يأتي من يفتح الخزنة.

سيف(وهو يخرج البطاقة من مكتبه):

- أظن أننا نسبقهما بخطوة.

نور(باندهاش):

- كيف وصلت إليها؟

- إننا لا نلعب هنا.. كل ما أطلبه منكِ يا نور أن تتصلي بها وتخبريها أنك موافقة وتأخذي منها كلمة السر لتخبرينا بها.

- ألن تشك بي؟ إن علياء ليست غبية لهذه الدرجة.

- لن تشك في صديقتها.. ستقنعيها.

- حسنًا سأتصل بها.. وسأفتح السماعة الخارجية.

(تخرج هاتفها وترن على علياء وتفتح السماعة)..يسمعان الجرس.. حتى قطعه صوت علياء:

- هل ذهبتِ؟

نور(بارتباك):

- لا، إنني قد تراجعت عن هذا الأمر في النهاية.

- أشكرك، وأعدك أنني لن أطلب منك شيئًا آخر في هذا الأمر.. سأحاول التصرف.

- لا ، بل أتصل بك لأقول إنني مستعدة لتنفيذ ما تطلبين.

علياء(بتشكيك):

- حقًا؟

- نعم..

- إننا أصدقاء منذ زمن ولا أظنك تحاولين خداعي أليس كذلك؟

(هنا يشير سيف لنور لتمثل الغضب)، (فتنطلق نور بغضب وسرعة):

- إن الخطأ خطئي لأني أحاول ألا أتسبب في سجنك.. إنني أعلم كم أنتِ عنيدة وكم ستصرين على ما عزمتي عليه من البداية، كان من الممكن أن أبلغهم لكي أؤمن نفسي ولكني لم أرد أن أتسبب في سجنك.

علياء(بخجل):

- آسفة.. ولكن موقفك قد تغيَّر فجأة فخفت أن تكوني..

- إنني ذاهبة لمقابلة عبد الرحمن الآن وسأتصل بك في خلال ساعة أعطيك كلمة السر.

- حسنًا..

(وتغلق الخط وتنظر لسيف الذي يبدو راضيًا تمامًا).

* * *

يتقابل عبد الرحمن و علياء في أحد المطاعم الكبيرة في القاهرة.. يسألها عبد الرحمن في لهفة وتوتر فور جلوسه أمامها:

- ماذا هناك؟ لقد أتيت مسرعًا حتى دون أن أغلق باب المنزل.

- ألا تخشى السرقة؟

عبد الرحمن(ضاحكًا):

- كيف أخشاها مع جلوس الشرطة أمام بيتي طوال اليوم.

- حسنًا.. لا وقت للتحدث.. علينا الآن أن نخرج دون أن يشعر بنا من يراقبوننا.

- إنهم يقفون خارجًا في انتظارنا.

- حسنا.. سأتصل بنور.. وسنخرج من هذا الباب.

(وتشير لباب العاملين بالمطبخ).

- حسنًا..

* * *

بعد أن مرت ساعة ونصف على المكالمة بين نور و علياء كان قد دخن سيف علبة سجائر فيها اهتز هاتف نور..

أمرَها سيف:

- ردي وافتحي السماعة. (ففعلت ذلك، فجاءها صوت علياء:

- ألو..

- ألو لماذا تأخرتِ؟

- عذرًا.. إن الأمر لم يكن بالسهولة التي توقعناها.

- لا عليكِ.. ما كلمة السر؟

- اذهبي للبنك.. سأتصل بك هناك وأعطِها لكِ.. أعتذر ولكن عبد الرحمن شكاك للغاية.. ثم ماذا يضرنا الاحتياط؟

(نور تنظر لسيف الذي يومئ برأسه موافقًا).

- حسنًا إنني ذاهبة.

- عندما نتأكد أنك في البنك ولا أحد يتبعك سنعطيها لك.

- حسنًا.

- إنني مقدرة ما تفعلين.. شكرًا.

نور(وقد دمعت عيناها):

- لا تشكريني.(تغلق الخط)

يتحدث إليها سيف قائلًا:

- لا تبكي.. إن ما تفعلينه في مصلحتكم، ستنقذين حياة علياء و عبد الرحمن.

(هنا يدخل علاء بسرعة): إن عبد الرحمن و علياء قد هربا ممن يراقبوهما.

يرد عليه سيف:

- حسنًا.. إنني أعلم أين سأجدهما.. أرسل وحدة للبنك وشدد عليهم ألا يظهروا هويتهم الحقيقية ثم أرسل نور ولا تتبعها بأحد.. قد يكتشف عبد الرحمن أن أحدهم يتبعها ولا يعطيها كلمة السر.

علاء: تمام.

ثم يوجه سيف كلامه لنور:

- اذهبي الآن للبنك، أظنهما هناك الآن.

(وقبل أن تخرج نور ينادي عليها سيف): كنت ستنسين البطاقة (ويمد يده بالبطاقة لها). فتأخذها وتخرج.

(ويفرد قدمه على مكتبه ويقول لقد نفَّذ الطعم المطلوب منه على أكمل وجه). فيسأله علاء:

- ألن نذهب نحن؟

- لا، إننا معروفان لديهما.

- حسنًا.

(يطفئ سيف سيجارته ويغلق عينيه ويقول "هكذا يكون الصيد").

* * *

(21)

الخميس الساعة 12:30.. تخرج نور لتوقف سيارة أجرة لتصلها بالبنك..

نور: بنك (.. ..) إذا سمحت.

السائق: تحت أمرك (ويقود السيارة).

(عندما اقتربا من البنك قال): سأنتظرك بالسيارة.

نور:حسنًا.

السائق: أعلم حجم مخاطرتك.. أشكرك.

نور:حسنًا.. لن يصيبها مكروه أليس كذلك؟

السائق: لا تقلقي.

تدخل نور البنك وتتم الإجراءات على خير وتخرج ما في الخزنة فتجدها سلسلة مفاتيح بها مفتاح وقطعة بلاستيكية مكتوب عليها عنوان.. فتخرج مسرعة وتركب السيارة.

تترك سلسلة المفاتيح على المقعد وتأخذ الورقة التي وجدتها.

تتوقف السيارة أمام القسم.. تنزل نور وتدخل القسم وتعطي لسيف الورقة فيجد مكتوبًا فيها: "إن كنت تقرأ هذه الرسالة.. هذا يعني أنك اقتربت جدًا من السر.. وإن وصولك لهذا الحد يبهرني.. "ستعرف السر إن ذهبت إلى آخر مكان تذهب إليه"

- ألم يكن معها شيء آخر؟

- لا..

- متأكدة؟

نور(بتردد): نعم..

- حسنًا.. يمكنك الذهاب إذا أردتِ الآن.. شكرًا جزيلًا لخدماتك.

(تشعر نور بالارتياح وتذهب).

بعدما تخرج نور، يتحدث علاء لسيف قائلًا في استنكار:

- هل كان كل هذا بسبب تلك الرسالة؟

- إنها تبدو أبسط مما هي عليه.. سنحاول فكها أو نرسلها لخبير شفرات.

- ما الذي قد يكمن خلفها؟

سيف(وهو يطفئ سيجارته): لا أعلم، ولكنه سيكشف جريمتيْ قتل.

بعد قليل يترك سيف الورقة ويشعل سيجارة ويجلس على الكرسي المقابل لعلاء، ويسأله:

- ماذا ترى في هذه الرسالة؟

- حسنًا.. أنا لم أكوِّن نظرية بعد ولكن سن..

سيف(مقاطعًا بهدوء):

- أظن أننا قد اكتشفنا ما في الرسالة.

- بهذه السرعة؟

سيف(بغرور):

- هذه الرسالة معدة لأطفال وليس لضابط مباحث.. لقد اكتشفتها منذ أن قرأتها لأول مرة.. ولكنني كنت متشككًا من سهولتها.

- هل هي سهلة لهذه الدرجة؟

سيف(مبتسمًا وهو ينفث دخان سيجارته):

- نعم.. هيَّا بنا لنتأكد من نتيجة تحليلي.

- إلى أين سنذهب؟

- للمقابر (يأخذ معطفه ويرتديه).

- مقابر ماذا؟

سيف(مبتسمًا بفخر):

- آخر مكان تذهب إليه ماذا يكون؟

علاء(بحماس):

- صحيح.. كيف غابت عني؟

- قلت لك إنها سهلة.

(ثم يثني سيف الورقة ليضعها في معطفه)

علاء:حسنا(ويرتدي معطفه)

(يتجمد سيف في مكانه فجأة ثم يقول):

- هل تعلم ما حجم صندوق الخزانة في البنوك؟

(فيرسم علاء مستغربًا حجم الصندوق في الهواء)

- أتعني أنه ضيق؟

- نعم، إنه ضيق وارتفاعه صغير، ولكنه طويل.

سيف(بانفعال):

- هيًّا بنا الآن.

- للمقابر؟

- لا بل نذهب لنور.. إنها خدعتنا. (ويذهب مسرعًا).

علاء(وهو يزيد من سرعته ليلحق به):

- حسنًا.. ولكني لا أفهم.

سيف(يتوقف فجأة ويفرد أمام علاء الورقة): ألا ترى أنها أكبر من الصندوق.. ومع ذلك لا يوجد بها أي علامات انثناء..

هذه الورقة لم تكن في صندوق الخزانة.. إنها مزوَّرة.

* * *

وصل علاء وسيف لمنزل نور وطرقا الباب ولم يرد أحد.. استمرَّا حتى فتحت واحدة من جيرانهم لترى من يطرق الباب.. تخرج الجارة سائلة:

- من أنتما؟

يجيها سيف:

- الرائد سيف المصري مباحث.. هل تعرفين أين نور؟

الجارة(بارتباك):

- لقد أتت منذ قليل، وأخذت حقيبة سفرها ورحلت.. أحدثَ شيء؟ إنها حقا فتاة محترمة و...

قاطعها سيف(بنفاد صبر):

- هل تعلمين أين ذهبت؟

- لا..

- ووالدها ووالدتها أين هما؟

- سافرا منذ أيام لقضاء أسبوعين في شرم الشيخ؟

سيف(بتشكيك):

- لم يأخذا نور معهما؟

- لقد كانت في امتحانات على ما أعتقد.

- إن أتت فعليك أن تتصلي بي..

أخرج "كارت" شخصي وأعطاه لها.

- بالطبع سأفعل..(ويرحلان).

وهما أمام المنزل يرن هاتف سيف.. يرد سيف قائلًا:

- الرائد سيف يتكلم، من معي؟

- إنني أ\محمود الذي أعمل في البنك.. لقد طلبت مني أن أبلغك إذا رأيت الشيخ عبد الرحمن.

- حسنًا، وهل رأيته؟

- لقد رأيته يقود سيارة أجرة قد توقفت أمام البنك لفترة ثم أخذ فتاة ومشى..

- وتبلغنا الآن؟ لقد كان ذلك منذ أكثر من ساعة.

- لقد كنت أبحث عن الكارت الشخصي الخاص بـ...

يغلق سيف الخط دون أن يكمل، ثم يصرخ بعصبية:

- ماذا يحدث؟ كيف هذا؟(ويرمي السيجارة بعنف).

كل هذا وعلامات التعجب والاستفهام قد طغت على وجه علاء .

سيف(بانفعال):هؤلاء الأطفال يلعبون بنا.

(ثم قال لعلاء بهدوء): أريد سيارة الأجرة التي أوصلت نور اليوم.

ردَّ عليه علاء:

- كيف.. لم يأخذ أحد رقم لوحتها أو...

سيف(بعصبية):

- كاميرا التصوير أمام البنك.. شهود أو حتى تفتش كل سيارة أجرة في مصر أريدهم اليوم.

علاء(بارتباك):حسنًا.



* * *

(22)

سابقًا في يوم الخميس الساعة 10 صباحًا..

تصل علياء لمنزل نور..

تسأل نور علياءَ:

- هل ستأتي معي للشرطة؟

- بالطبع لا.. وأريدك ألا تذهبي أيضًا.

- لقد أخبرتكِ أنه كان أمامك أمس فقط لتتصرفي.. أظن أنه من حقي أن أخاف على حياتي وحياة صديقتي.

- إذا ذهبتِ هناك فإنك تعرضين حياتنا لخطر أكبر.

نور(تتوقف وتستدير لتواجه علياء):

- حسنًا.. وكيف هذا؟

- أظن أن من أرسل جواب التهديد هو سيف نفسه.

- هذا سبب أدعى أن نبلغه.. هذا دليل أنه يكيد لكما ويظن أنكما قد قتلتما الدكتور.

- إن كان هو من أرسل هذا التهديد.. فهناك احتمالان، أولهما أنه يشك بنا.. (وسكتت)..

- والثاني؟

- أن يكون الرائد سيف من أتباع قتلة الدكتور.

- ماذا تقولين؟

- وكذلك من يراقبوننا إنهم من الشرطة.. وقد اكتشف عبد الرحمن ذلك.

- ؟!!!

- عبد الرحمن قد سمع سيف يقول في يوم الحادثة في الهاتف إن الدكتور مات ولا خطورة بعد الآن.. ألا تظنين أن ذلك مريب؟.. كذلك يصرّ سيف على التحقيق في هذه القضية على الرغم من أنها حادثة.. ألا تجدين ذلك مريبًا أيضًا؟

* * *

سيف:واثق؟ إن الجثة مشوهة من الحريق تمامًا.

(يرن هاتف سيف الخاص فيجيب بسرعة ويبدو عليه الاهتمام).

سيف(يتكلم في الهاتف وينتظر ليسمع محدثه ثم يكلمه):حسناً.. انا أمام المنزل.. نعم.. يوسف.. لقد مات.. لقد انتهى الأمر.. لا.. لا يوجد أي خطورة لا تقلق.

ثم يغلق الخط وينظر لعبد الرحمن ويسأله: هل أنت متأكد من كونه هو؟.

* * *

- حسنًا.. هناك طريقة واحدة للتأكُّد.

نور(بتهكم):

- هل تتضمن الدخول في رأس سيف؟

علياء(بحماس):

- بل بالدخول لمكتب سيف.

- لا أفهم شيئًا..

- حسنًا.. إن من يراقبوننا يقفون بالأسفل سننزل.. ونفتعل شجارًا وستذهبين لسيف لتبلِّغيه بكل شيء.. وتخبريه كيف أردت أن أدخلك البنك بدلًا مني لأنك غير مراقبة.

- ولكني مراقبة مثلكما.

- حسنًا.. سنفترض أنك لا تعلمين ذلك.

- وهل سأخبره بالحقيقة؟

علياء(بتهكم):

- الكذب على الشرطة شيء سيء.

- أتريدين أن أخبره بأمر الرسائل وما إلى آخره؟

- ستخبرينه.. وتخبرينه أيضًا أن اختراع الدكتور موجود في البنك وأنني طلبت منك أن تذهبي وتحضرينه.

- وهل سأخبره بجواب التهديد؟

- بالطبع.. شددي على هذا الأمر.. أريدكِ أن تعرفي هل هو مَن أرسله أم شخص غيره.

- وسيطلب إرسالي للبنك..

- بالطبع وستذهبين.. وإن كانت رسالة أخرى ستنسخينها لنا وتسلمينه الأصل.

- وإن كان شيئًا آخر؟

- ستتصلين بي.. إن تأزم الأمر.

- سيراقبونني بالطبع.

- لاتقلقي.. ولكن هل ستنفذيها؟

- لا أعلم ولكن ماذا إن اكتشف الأمر؟

- ستكونين في شقتي بالإسكندرية.. ولن يعرف طريقك حتي ينتهي الأمر.

- ولماذا يتوجب عليَّ أن أفعل كل هذا؟

- إنك تريدين أن تحافظي على حياتنا.. فإن لم تفعلي ذلك فلن نكتشف السر.. وإن ذهبتِ وأبلغتِه قد نُقتَل.

- لم تفهمي قصدي(وتضحك).

- لا أفهم..

- أريد شيئًا بالمقابل فلنقل.. .

علياء(مقاطعة):

- أيًا كان ما ستطلبين فهو مجاب.. ولكن بعد انتهاء الأمر.. سأهدي إليك مصنع شيكولاتة.. ومشتل زهور.

نور(مبتسمة بخوف):

- حسنًا.. فلننزل.

- ليس هكذا ستنزلين وأنا أنزل وراءك كي ألحقك أمامهم كأنك غضبتِ وذهبتِ بدوني.. يجب أن نحافظ على مسافة بيننا حتى نضطر لرفع أصواتنا.

- إني خائفة..

- أنا أيضًا.. ولكن لابد أن نفعل..هيًّا انزلي.

* * *

الخميس الساعة العاشرة صباحًا..

تصل علياء لمنزل نور وتتحدثان وقتًا طويلًا وبعدها تنزل نور من البيت مسرعة والغضب ظاهر على وجهها ثم تتبعها علياء بسرعة وهي تنادي عليها:

- انتظري قليلًا.. إنك ستدخلينني السجن إن ذهبتِ.

نور(تقف في الشارع وترد):

- إن الشرطة تراقبكما ويعلمون خطواتكما ولا نِيَّة لي أن أدخل السجن.

تتركها وتسير مكملة: إنهم لا يشكون بي إلى الآن وسيصدقونني.

علياء(بصوت عالٍ):

- تعلمين أنك صديقتي ولن أسمح لأحد أن يضرك.. ذهابك للبنك لا يوجد به أي خطر عليك.

(تقف نور وتنظر لعلياء ثم تقول):

- إنني أفعل هذا من أجلكِ قبل أن يكون من أجلي.

(وتتركها وتذهب).

* * *



(23)

يوم الخميس الساعة 4 عصرًا.. يقف عبد الرحمن و علياء أمام المنزل في إحدى الأحياء الشعبية..

يقول عبد الرحمن:

- نور لم تجد في الخزانة سوى هذه السلسلة (ويشير للعمارة) هنا خبأ الدكتور كنزه.

- حسنًا.. ماذا ننتظر؟

- ليس الآن.. سندخلها ليلًا.

- كما ترى..

يقول لها: أقلق من طاعتكِ المفاجئة.. فتضحك علياء، ثم تقول:

- هيَّا بنا إلى أي مقهى لنجلس قليلًا.. ولنستغل السيارة بعض الوقت.

عبد الرحمن(وهو يفتح الباب):

- حسنًا.. هيَّا بنا..

- أرى أن مهنتك الجديدة قد أعجبتك.

- إنه عمل مؤقت فقط.

وبعد وصولهما للمقهى.. يقول عبدالرحمن لعلياء:

- أحييكِ على فكرة سيارة الأجرة.. فقد كانت الوسيلة الوحيدة للتواصل مع نور

علياء(بغرور مصطنع):

- هذا أقل ما عندي.

* * *

الخميس الساعة 12:30.. تخرج نور لتوقف سيارة أجرة لتصلها بالبنك..

نور: بنك (...) إذا سمحت.

السائق: تحت أمرك (ويقود السيارة)

(عندما اقتربا من البنك قال): حسناً.. سأنتظرك بالسيارة.

- نور: حسناً.

السائق: أعلم حجم مخاطرتك.. أشكرك.

نور:حسنًا.. لن يصيبها مكروه أليس كذلك؟

السائق: لا تقلقي.

تدخل نور البنك وتتم الإجراءات على خير وتُخرِج ما في الخزنة فتجدها سلسلة مفاتيح بها مفتاح وقطعة بلاستيكية مكتوب عليها عنوان..

فتخرج مسرعة وتركب السيارة. تترك سلسلة المفاتيح على المقعد وتأخذ الورقة التي وجدتها .

* * *

عبد الرحمن وعلياء مازالا يتحدثان بالمقهى.

عبد الرحمن: حسنًا لك الحق.. فلقد قربتنا هذه الخدعة من السر.

- ولكن ألا ترى أن الموضوع مباشر أكثر من اللازم؟

- مباشر كيف؟

- إننا لكي نحل كلمة السر قد بذلنا مجهودًا كبيرًا.. ولكي نفتح الخزنة مجهودًا أكبر..

ولكن نجد العنوان هكذا بدون أي شفرات أو خدع هذا غريب على سلوك الدكتور؟

- هذا صحيح فأنا أشك أيضًا في هذا.. ولكننا سندخلها بأية حال من الأحوال.. ثم ماذا قد يكون فيها.

علياء (وهي تتأمل المفتاح):

- توقع أي شيء من عالم من صفوة علماء الكيمياء الحيوية والعقاقير في العالم.. قد يتحرر غاز قاتل بمجرد فتح الباب أو ينسكب شيءما أو تسبب نشاط مفاجئ لبكتريا خاملة...

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- حسنًا فهمت إن كانت "كمين" سأموت.

- نعم..

- هذا ما سيجعل أحدنا يدخل والآخر ينتظره.

- حسنًا.. مَن سعيد الحظ؟

- أرى أنك استخدمتِ صيغة المذكر.

(فتضحك علياء).

يكمل: ولكنني إن مُتُّ سيُدفَن سِرِّي معي للأبد.

- أي سر؟

عبد الرحمن(يميل للأمام ويتكلم بصوت خافت كأنه يقول سرًا):

- كيف حللت كلمة السر قبلك.. إنني احترت فيها فترة حتي تذكرت شيئًا جعلني أحلها في خمس دقائق.

نور:

- وما هو هذا الشيء؟

عبد الرحمن(بهدوء):

- هذا هو السر.. قد أخبرك به يومًا ما.. ولكن يجب أن تفعلي ما يجعلني أكشف لكِ عنه.

- إن كان هناك طريقة لأكتشف بها كلمة السر غير طريقتي فسأكتشفها.

عبد الرحمن(بلامبالاة):

- بالتوفيق.. بخصوص نور هل هي بأمان؟

- بالطبع، لقد اتصلت بها منذ قليل.

- وأين هي؟

- عمي يمتلك شقة في الإسكندرية ونحتفظ بمفتاح لها.. أعطيته لها وهي ستذهب هناك.

- حسنًا.. أستأذن أنا الآن بالذهاب للصلاة (ويقف من مجلسه).

- تقبَّل الله مقدمًا.

عبد الرحمن(مبتسمًا):

- منا ومنكم.

(بعد الصلاة يرجع عبد الرحمن).

ويعاودان الحديث، تقول له علياء:

- حسنًا.. إنني متشوقة لمعرفة ما في الشقة.

- اصبري قليلًا وسنعرف.. ولكن كلما أتذكر أنك صاحبة خطة إرسال نور للبنك وكذلك فكرة سيارة الأجرة، أندهش لمجيء كل تلك الأفكار على عقلك الضيق.

- اعترف أنها كانت خطة ذكية.. لا تكابِر.

- حسنًا.. ذلك كان ذكيًا.. أظنك بعد هذا كله قد تتوصلين لطريقة وصولي لكلمة السر.

- أعطني شيئًا لأخمن على أساسه.

- لا يوجد تخمينات، إن الأمر ليس...

علياء(مقاطعة):

- أعطني شيئًا أبدأ منه.

- حسنًا.. السر يكمن في البدايات وليس في البداية.

- لا أفهم.

- الدكتور قال: "السر يكمن في البدايات".

وقد فهمتِ أنه يقصد المحفظة.

- حسنًا.. وما الخطأ في هذا؟

- إن المحفظة مفرد وليست جمعًا...

علياء(مقاطعة):

- تقصد أن البدايات هي بدايات شيء آخر؟

- نعم.. هيَّا بنا.

- انتظر.. بدايات ماذا؟

- لن أخبرك، أظنك تستطيعين أن تعرفيها بنفسك.. هيَّا بنا.

علياء(وهي تقف):

- حسنًا، ولكن بدايات أي شيء؟

- ها.. ستأتي معي أم أذهب وحدي؟

- حسنًا هيَّا بنا.

* * *

(24)

يصل عبد الرحمن و علياء أمام المنزل ويقفان قليلًا ليتأكدا أنهما غير مراقبين..

عبد الرحمن: ستنتظرينني هنا.

علياء: حسنًا.. خذ حذرك وإذا اتصلت بي سآتي فورًا.

- حسنًا .. قالها وانصرف.

بعد قليل يرن هاتف علياء، يتصل بها عبد الرحمن، ما إن ترد حتى يتحدث قائلًا بهدوء:

- أسرعي.

علياء(بحماسة):

- آتية.. ماذا يوجد هناك؟

- هذا ما أريد أن أريك إياه.

(تصل علياء لتجده واقفًا أمام الباب واجمًا).

فتسأله:ماذا هناك؟

عبد الرحمن(بوجوم):

- لا شيء.

علياء(بانفعال):

- أتظنني أسأل عنك؟ إنني أتكلم عن الشقة.

عبد الرحمن(ينظر لها بهدوء ويفتح الباب):

- حسنًا.. وأنا أيضًا أتكلم عن الشقة.

تدخل علياء لتجد الشقة فارغة تمامًا..

تتأمل علياء في تفاصيل الشقة لتجدها واسعة ذات ديكور فخم ولكنه عشوائي..

فمثلًا السيراميك مكون من ألوان كثيرة جدًا بكل الدرجات بعشوائية تامة تبعث الحيرة.. ويتوسط الحائط الموجود بين عمودين مزخرفين ساعة حائط..

بمجرد دخولك الشقة تتخيل دخول متحف فن إن كانت متاحف الفن تنضح بالجمال من كل ناحية.. فالحوائط ما بين مرسوم عليها مباشرة أو معلق عليها لوح مرسومة.

يتكلم عبد الرحمن قائلًا:

- أظن أن الأمر مشوَّش قليلًا.. فالشقة تبعث الحيرة من كل الاتجاهات.. وبها الكثير مما يستطيع يوسف أن يخبئ به ما يريد.. كيف سنجده؟

(يكمل عبد الرحمن بعد أن سكت قليلًا ولم ترد عليه علياء):

- حسنًا.. أظن أن البداية ستكون من الساعة (ويقترب منها).

يكمل(ونظره مركز على الساعة): ألا تلاحظين شيئًا غريبًا؟.. إن عقرب الثواني منزوع.. كذلك العقربان بلونين مختلفين.. الساعة أيضًا لا تعمل إنها مثبتة على هذا الوضع.. ماذا تظنين؟

ينتظر عبد الرحمن إجابة علياء فلا ترد.. فيجول ببصره ليراها تقف مستغرقة أمام إحدى اللوحات الموجودة على الحائط غير منتبهة لأي مما قال.

فيقول(بانفعال):

- حسنًا.. سنأتي هنا في وقت لاحق لتأمُّل اللوحات، ولكن الآن هل يمكن أن نتعاون قليلًا؟

علياء(انتفضت من شرودها):

- إنني معك ماذا تقول؟

- هذه الساعة.. ماذا تلاحظين بها؟

- عالية بشكل مبالغ فيه.. وكذلك مائلة لليسار قليلًا.. وغير كل هذا غير ملائمة مع ذلك الديكور.

عبد الرحمن (باستهزاء):

- حسنًا.. ألا تريدين ستائر في هذا الركن أيضًا؟(ويشير بيده لأحد الأركان الفارغة).

- إنني أتكلم بجدية.. انظر للساعة، إنها عالية لدرجة تجعلك لا ترى أي شيء سواها.

- حسنًا، وما في ذلك؟

- لا أعرف ولكنه يبدو غريبًا.

- حقا؟؟ أظن أنها لا تنتمي للديكور لأنها يجب أن تلفت أنظارنا لأن حلًا ما يوجد هنا؟

- وهل تظن أيًّا ما اخترع الدكتور موجود في هذه الساعة؟

- قد يقودنا إليه.. هناك عقرب ثواني مفقود..

علياء(مقاطعة):

- وتشير الساعة إلى السادسة ونصف بالضبط.. وألا ترى أن عقرب الساعات أبيض وعقرب الدقائق أسود.

- هذا ما قلته أثناء شرودك في اللوحة.. ماذا تفهمين من هذا؟

- لا أعلم.. ولكن أتظن أن اللغز.. موجود بالكامل في الساعة؟

- ربما.

علياء(بثقة):

- خطأ.. لقد قلت لي إن الدكتور كان يردد دائمًا "لا تضع البيض كله في سلة واحدة".

- حسنًا.. في انتظار أيّ فكرة.. أتظنين أنه قد يكون في اللوحات؟

- أظنه موجودًا في كل تفصيلة مهما كانت صغيرة في هذه الشقة.

- حسنًا.. لنركز على الرسومات واللوحات.. سآخذ أنا هذا الجانب(ويشير إلى يساره) وأنتِ الجانب الآخر إن رأيتِ أي شيء غريب أخبريني.

- حسنًا..

* * *

عبد الرحمن: لقد ردد يوسف دائمًا تلك العبارة.. فإذا سافر فهو يأخذ معه بعض الأموال.. ويرسل الباقي عن طريق حوالة بريدية فلا يضع البيض كله في سلة واحدة..

كذلك كان مصِرًّا أن تكون كلمة السر لحساب "الفيس بوك" الخاص بالمجموعة مختلفة عن كلمتي السر الخاصتين بنا، وذلك في حالة إن سرق أحد حسابتنا لا يسرق هذا الحساب أيضًا.. وهذا تطبيق آخر لهذه المقولة.

* * *

في نفس الوقت في مكتب سيف.. يدخل علاء المكتب..

سيف(وهو يطفئ السيجارة):

- هل وجدت السيارة؟

فيجيبه علاء:

- إننا نبحث في كل مكان.. وحاولنا بما أوتينا من قوة ولكن لا أثر لها.

سيف(بغضب):

- حسنًا كل قواتكم ليست كافية.. الليلة لا تبيت سيارة في موقف سيارات ولا تغطَّى سيارة ليلًا إلا وقد كشفتموها.. إنه ليس خفيًا ليتجول بينكم بدون أن تروه.

- قد يكون لا يتجول.

سيف(يهدأ فجأة ويضع يده على كتف علاء):

- ربما وقد يكون أغرقها أيضًا.. ولكن بكل الأحوال أريد أن أعرف أين هي الآن.. هل عرفت أرقام لوحتها؟

- نعم.. هناك سيارة أجرة وحيدة موجودة بالعائلة وهي سيارة والد عبد الرحمن وبعد موته قد اشتغل بها سواق من المنطقة ويناصفه الأجر.

- حسنًا.. شدد إجراءاتك أكثر.. وهل وجدت نور؟

علاء(مترددًا):

- لا..

- لا فقط؟ ألا يوجد أي نوعٍ من الجمل بعدها مثل: ولكن هناك خيوطًا وما إلى آخره؟

- لا يوجد أي خيوط.. فهي اختفت.

سيف(بغضب):

- ابحث في كل المستشفيات والفنادق والأقسام، أريد أي خيط أبدأ منه.

- أوامرك.

سيف يشعل سيجارة وبهدوء يقول:

- تستطيع الانصراف..

(بمجرد إغلاق الباب خلف علاء يركل سيف الكرسي المواجه له بعنف).

* * *

يقف عبد الرحمن متأملًا في لوحة تمثل فتاة تجلس مغمضة العين وهي تعزف بانسجام على قيثارة طويلة..

منظر يجعلك تدفع نصف عمرك لتسمع ما تعزف.. ويستعيض عقلك عن ذلك بموسيقاك المفضلة.. فتجدها نابعة من اللوحة..

كلما حاول عبد الرحمن التركيز ليبحث عن شيء غريب فيها تستغرقه اللوحة ويفيق بعدها بحين ليعاتب نفسه ويحاول التركيز مجددًا.. وبعد فترة لاحظ كلمة صغيرة موجودة أسفل يسار اللوحة.. دقق قليلًا ليجدها "الخال"..

فينادي على علياء ويسألها عن ذلك فتقول له إنه توقيع راسم اللوحة.

فيعود عبد الرحمن ليركز ويستغرق في اللوحة..

بينما كانت علياء مستغرقة في لوحة تمثِّل ثلاث فتيات تمسك كل منهن ورقة تمثل ما رسمت وبقايا الألوان على وجوههن وأيديهن..

أظنك من وصفي للوحة قد تراها عادية.. ولكني أؤكد لك أنها ليست كذلك فالرسام قد استطاع بمهارة أن يصوِّر في عيون الأطفال وتعبيراتهم فرحة حقيقية..

لقد كانت اللوحة حية لدرجة تجذبك لتعيش فيها.. لقد استمرت علياء في استغراقها في اللوحة لفترة وأعجبها ما رسمت كل منهن..

فوجدت أن إحداهن قد رسمت منظرًا طبيعيًا طفوليًا يمثل الشمس في أعلى يسار الورقة.. وشجرة تتوسط الورقة والعديد من الورود وسحاب موزع في اعلي الورقة

والأخرى رسمت مشهدًا لفرحة رمضان من شارع معلق به الزينة.. وبائع الكنافة و"المسحراتي" بذلك التصوُّر الطفولي لشهر رمضان.

والأخيرة رسمت طفلة ترسم وبخط طفولي تكتب أسفله"كل ما أحتاجه لأفرح.. ساعة.. و فُرشة رسم"

تستعيد علياء تركيزها دفعه واحدة وتحاول أن تدقق لترى إن كانت تحت "الشين" شَرطة أم ذلك خطأ من ذلك الخط الطفولي، وفجأة يصرخ عبد الرحمن:كيف لم ألاحظ؟

(علياء مذعورة):

- ماذا هناك؟

عبد الرحمن(بانفعال بالغ):

- كيف لم نلاحظ؟

- حسنًا.. اهدأ قليلًا.. ماذا هناك؟

عبد الرحمن(ما زال منفعلًا):

- لماذا لم ننظر للسيراميك؟.. ألم تتذكري ما قاله الدكتور؟؟

علياء(بعدم فهم): ماذا قال؟

عبد الرحمن: لقد اخبرنا أن ننظر تحت أقدامنا حتى لا نتخطاه دون ملاحظته.

علياء: أتقصد أنه لم يكن تعبيرًا مجازيًا لننظر...

عبد الرحمن(مقاطعًا بحماس):

- لا يوجد تعبيرات مجازية بل هي ألغاز مرتبطة ببعضها طوال الوقت.. وفي نهاية الأمر لقد قلتِ بنفسك لم يكن الأمر كله في الساعة.

- حسنًا.. من أين نبدأ؟ إن الأرض بألوان كثيرة وتبدو عشوائية للغاية..

عبد الرحمن(مبتسمًا): ويشير إلى أحد الأجزاء السوداء في الأرضية من هنا.

علياء: ولماذا هنا بالذات؟

عبد الرحمن(يشير إلى الساعة):

- إن عقربيْ الساعة يشيرًا إلى السادسة والنصف.. أي أسفل الساعة مباشرة.

- حسنًا.. لنفترض أنك على حق.. ماذا نفهم من هذا الجزء بالذات.. إنها واحدة من العديد من السيراميك الأسود الكبير المبعثر هنا وهناك بعشوائية.

عبد الرحمن(وهو يطرق عليه طرق خفيف):

- أظن أن هناك فراغًا تحته.. سننتزعه.

و(يكمل بحماس):

- انتظريني هنا(وينصرف).

- أين تذهب؟

عبد الرحمن(وهو منصرف):

- سأشتري أي شيء حاد لأخرج به السيراميك.. يجب ألا نكسره(ويخرج).

* * *

ما أقصده هو قد تجد المخطئ له تأييد ولو على حق المصيب.. كم مرة بحثنا عن أشياء لنجدها مباشرة أمامنا، ولكننا لا نلاحظها لأننا تعوَّدنا على وجودها؟ وسؤالي هو: لماذا لا ننظر تحت أقدامنا فما تحت أقدامنا إن تخطيناه لن نستطيع رؤيته ثانية.. لكم الإجابة.

إ.م

* * *

تبقى علياء تطرق بخفة على السيراميك وتقول إذن إن السِّرَ أسفل يدي مباشرة.. وبمرور الوقت تبدأ بتفقد اللوحات حتى تعود للوحة الطفلات الثلاث مجددًا..

وتفكر أنه إن كان تحت حرف "الشين" شَرطة فإنها جملة جناس صحفي ولكن ما هدفها فهما قد وجدا ما يبحثان عنه.. ثم ما نوع الجملة المطلوبة منها؟

(هنا يقطع عبد الرحمن أفكارها بوصوله وإلقائه السلام عليها فترد السلام).

يجلس عبد الرحمن على الأرض بجوار القطعة المطلوبة من الأرضية وبدأ بنحت أطرافها حتي استطاع أن يحركها قليلًا.. وعندما حاول أن يرفعها قاومته بقوة حتى استطاع أن يخلعها من مكانها بقوة ولكنه وقع بها إلى الخلف..

فانطلق من تحتها عموديًا بمجرد إزاحة السيراميك ماءٌ ساخن بضغط عالٍ جدًا لدرجة أنه ترك أثرًا بسقف الحجرة.. وانطلقت معه صرخة ذعر من أعماق علياء، ولولا سقطة عبد الرحمن للخلف لكان تعرَّض مباشرة للماء.

اطمأن كل منهما على الآخر وبعدها بقليل.. تكلم عبد الرحمن:

- الحمد لله.. لولا ستر الله لكان الأمر تعدى تلك السقطة.

(وينظر لأثار الماء في سقف الحجرة)

- الحمد لله.. يجب أن...

عبد الرحمن(وهو يطرق على كل السيراميك مقاطعًا علياء):

- ما هذا؟ كلهم من أسفلهم يوجد فراغ..

- إذن هناك فخ بكل منهم ما عدا واحدة يوجد بها اختراع الدكتور؟

- يجب أن نختار بدقة.

- حسنًا، أظن أن ذلك الجزء من السيراميك كان من المفترض أن نبدأ به لنصل للجزء الصحيح.

- لا أرى طريقة تقودنا في قلب هذه العشوائية.

- أظن أنني أعرف واحدة.. وتذهب ناحية اللوحة وتقف تتأملها من جديد

عبد الرحمن(وهو قادم خلفها):

- ما هي؟

- انظر لهذا الجزء.

(وتشير إلى الورقة التي تمسكها البنت في اللوحة)

وتكمل: أيوجد تحت حرف "الشين" شَرطة أم هي خطأ؟

- لا، إن يوسف قد قصد ذلك..

- تقصد من رسمها؟

عبد الرحمن(مبتسمًا): يوسف هو من رسمها.. لقد بدأ فيها منذ سنين ولم أعلم إن كان أنهاها أم لا حتى رأيتها الآن.. لا أحد يعرف حدود موهبة الرسم

عنده .. ثم لا ترين إمضاء صاحب اللوحة وهذا دليل أنه لم يشترِها.
علياء(مصدومة):

- أظن أنه لم يترك شيئًا لا يجيده.

- هذه جملة جناس صحفي.. هل استطعتِ حلها؟

- لست واثقة.. فهو لا يكتب نوع الجملة المطلوبة وهذا يزيد المهمة صعوبة، ولكنني أظنها محصورة في جملة "وفُرشة رسم" فهي جملة مستقلة بذاتها ولذلك فصلها عما قبلها.

(استدار عبد الرحمن فجأة وضحك بشدة).

- وماذا يضحك في كلامي؟

- إننا لا نتعلم سريعًا..

- لا أفهم..

- هل شرحتِ لي معني الجملة من وجهة نظرك؟

- إنها ليست بحاجة لشرح، كل ما يُفرِح تلك الفتاة بعض الوقت و فُرشة رسم لتستطيع الرسم.

- ثانية.. تعتبرين المعني مجازيًا.. لا يوجد تعبيرات مجازية هنا.. الساعة التي تحتاجها موجودة بالفعل.

(ويشير على الساعة المعلقة على الحائط).

- أتقصد.. أن فرشة الرسم سيخرج منها جملة هي شيء نحتاجه وموجود هنا؟

(عبد الرحمن يومئ بابتسامة ولا يعقِّب).

- حسنا.. هذه الجملة على قلة حروفها يخرج منها العديد من الكلمات، تبدأ بحرف "الشين" هل معكَ ورقة وقلم؟

(يومئ عبد الرحمن إيجابًا)..

- حسنًا.. (وتنظر للوحة).

تكمل(وهي تفكر): قد نكوِّن كلمة شرفة أو شرس أو شرم أو شفرة أو.. عبد الرحمن(مقاطعًا): حسنًا، شفرة تبدو أكثرهم قبولًا.. ماذا يتبقى في هذه الحالة؟

- فقط ثلاثة حروف.. "الميم" و"السين" و"الراء".

(يغمغمان قليلًا مرددين احتمالات الكلمات المكونة من الثلاث حروف)

وتقول:

- لا يوجد شيء ذو معنى سوى "سمر".. أظنها غير مفيدة.

- شفرة سمر أو سمر شفرة ماذا تعتقدين؟

- لا أعلم.. أظن أن هناك شيئًا ما خطأ. لنجرب باقي الاحتمالات.

عبد الرحمن(مبتسمًا):

- لقد أهملت حرفًا.

- أين؟

عبد الرحمن(مشيرًا على اللوحة): إنها "وفرشة رسم" ليست" فرشة رسم" أظن أن حرف "الواو" يصنع فرقًا.

- حسنا.. وتغمغم قليلًا ثم تصرخ فجأة "مورس"

عبد الرحمن(بتعجب):

- ماذا؟

علياء(بانفعال):

- شفرة مورس ألا تعرف شفرة مورس؟

- لا أعرفها.. ماذ..

علياء(مقاطعة بسرعة):

- إنها نوع من الشفرات تعتمد على القطاعات الكبيرة والصغيرة ولكل حرف صيغة معينة من القطاعات الصغيرة..

تساعد كثيرًا في أعمال الكشَّافة. كنت أدرِّسها حينما كنت قائدة الكشافة في مدرستي.

(وأصدرت صفيرًا طويلًا من فمها ثم أصدرت صفيرًا قصيرًا) أفهمت شيئًا؟

قطاع كبير وقطاع صغير.. كان من الممكن أن أفعلها بالإضاءة، أن أنير المصباح فترة طويلة ثم فترة قصيرة.. أو بالدخان أو بحركة ذراعي.. إنها

علاقة بين شيء كبير ونطلق عليه الشرطة وشيء صغير ونطلق عليه نقطة.. وبالطبع كل حرف يتكون من عدد من النقاط والشرط بترتيب معين..

(ثم ترفع رأسها لترى نظرة عدم فهم في وجه عبد الرحمن) ثم تسأله من جديد:

- أفهمت شيئًا؟

عبد الرحمن(بوجوم):

- إنكِ كنتِ قائدة الكشَّافة في المدرسة.

علياء(ضاحكة بهدوء):

- حسنًا.. أريد أن نحدد شيئين أحدهما كبير مقارنة بالآخر، قد يكون الدكتور استعملهما لكتابة شفرة مورس.

- أظن أن الساعة أشارت لنا على السيراميك.. وبذلك نحن نعلم أن أحدهما هو السيراميك ذو اللون الأسود.

- إذن.. سيكون الآخر سيراميك ذو لون من الألوان القريبة منه.

عبد الرحمن(مشيرًا في جهة ما):

- أظن أن السيراميك الأسود يوجد في هذه الجهة فقط.

- إذن.. هو سيراميك ذو لون من الألوان القريبة من الأسود ويتكرر في هذه الجهة(وتشير لنفس الجهة) ماذا لدينا؟

- الأبيض والأخضر وهذا اللون أيًا كان(مشيرًا للون منهم على الأرض).

علياء(ضاحكة):

- تقصد "موف"؟

عبد الرحمن(بإحراج):

- أيًّا يكن.

علياء(بحيرة):

- حسنًا ماذا تظن؟

عبد الرحمن(بثقة):

- الأبيض

- على أي أساس؟

- لقد انتزع يوسف من الساعة عقرب الثواني ليتبقى لنا عقربان أحدهما باللون الأسود والآخر باللون الأبيض.. وبالمناسبة عقرب الدقائق وهو الأكبر كان باللون الأسود، أظنه يقصد أننا سنستخدم السيراميك الأسود الكبير.. والسيراميك الأبيض الصغير.. فكل الألوان يوجد منها أحجام مختلفة.

علياء(مازحة):

- أظننا فريق جيد.. إذن العلاقة ستكون بين السيراميك الأسود الكبير.. والسيراميك الأبيض الصغير.

عبد الرحمن(بجدية):

- حسنًا.. لنحتفل لاحقًا.. ونتمم عملنا الآن.

علياء(تمدّ يدها):

- إذًا أعطني الورقة والقلم.. وأخبرني بالسيراميك وألوانه.

عبد الرحمن(يعطيها الورقة والقلم):

- فلنبدأ..

أبيض.. أسود.. أبيض.. بني.. ثم توقف أخبرك الألوان جميعها؟

- نعم..

- حسنًا.. نبدأ من جديد.

أبيض.. أسود.. أبيض.. بني.. أبيض.. أزرق.. أسود.. أبيض.. أبيض.. ثم ألوان كثيرة لا يتكرر بها الأبيض أو الأسود.

- وهي تكتب.. حسنًا السيراميك الأبيض صغير ونرمز له بالنقطة.. والسيراميك الأسود كبير فنرمز له بالشرطة.

- والألوان الغريبة؟

- إنها للفصل بين الحرف والآخر.

- حسنًا، هل هم ثلاثة حروف فقط؟

- نعم وهم.. ._. . _..

- حسنًا، وماذا تعني؟

علياء(بتردد):

- لقد مرَّ بعض الوقت ولا أتذكر.. كما ترى فالحروف متشابهة بشكل كبير.

- وماذا نفعل الآن؟

علياء(تخرج هاتفها المحمول):

- لا تقلق

(تدخل علياء على الإنترنت وتجري بحثًا تحت اسم شفرة مورس وتحمل صورة توضح الحروف والأرقام).

- جاري تحميل الصورة الآن.. انتظر قليلًا.

- أي صورة؟

- سترى..

(ويكتمل التحميل وتفتح الصورة وتريها لعبد الرحمن فتكون كالتالي):

International Morse Code

1. A dash is equal to three dots.
2. The space between parts of the same letter is equal to one dot.
3. The space between two letters is equal to three dots.
4. The space between two words is equal to seven dots.

A	• —	U	• • —
B	— • • •	V	• • • —
C	— • — •	W	• — —
D	— • •	X	— • • —
E	•	Y	— • — —
F	• • — •	Z	— — • •
G	— — •		
H	• • • •		
I	• •		
J	• — — —		
K	— • —	1	• — — — —
L	• — • •	2	• • — — —
M	— —	3	• • • — —
N	— •	4	• • • • —
O	— — —	5	• • • • •
P	• — — •	6	— • • • •
Q	— — • —	7	— — • • •
R	• — •	8	— — — • •
S	• • •	9	— — — — •
T	—	0	— — — — —

عبد الرحمن(ضاحكًا): هل تظنين أن هذا جعلني أفهم؟

- إن الترجمة هي... (وتبحث وتدون بالورقة) "***Red***"

- متأكدة؟

- نعم.. فلكل حرف ترجمته.

- حسنًا.. على ما أظن سنبحث عن سيراميك أحمر لنرى ما تحته.

- حسنًا..

(يبحثان فترة حتى تجد علياء جزءًا من الأرضية صغيرًا لونه أحمر).

- أظنني وجدته.

عبد الرحمن(وهو قادم):

- ولكن ابتعدي في حال كنا مخطئين لا نعلم ما قد يحدث.

- حسنًا..

(وتذهب وتقف بجوار باب الشقة).

يطرق عبد الرحمن عليه خفيفًا ثم يحاول خلعه فينخلع بسهولة أكثر من سابقه..

ينتظر عبد الرحمن قليلًا ليرى إن كان هناك فخ أسفله.

- أيًا كان ما نجده أسفل هذا يجب أن نتعاهد على أن نتصرف حسب ضمائرنا وألا نستخدمه لإحراز مكاسب شخصية.

عبد الرحمن(مبتسمًا):

- أظننا متفقين.. لقد كان اختيار يوسف جيدًا.

(ويرفع السيراميك بحذرٍ ليكشف عما تحته).

علياء(خائبة الأمل):

- لا تقل لي إن ما رأيته صحيح.

- إنه صحيح.. كل هذا التعب من أجل شريط مسجَّل.

ثم يكمل: ولكن أظننا الوحيدين القادرين على اكتشافه.. إننا بالفعل فريق جيد جدًا.

* * *



(25)

يجلس عبد الرحمن وعلياء في أحد المقاهي بعد أن اشتريا سمَّاعة أذن وجهازًا ليشغِّلا الشريط المسجَّل.. يضع كل منهما سماعة من سماعتي الأذن.. ويشغل التسجيل.. فيسمعان صوت الدكتور يوسف قائلًا:

"أيًا كان من يسمع فليس أمامي سوي اعتباره عبد الرحمن، فلقد فعلت ما أستطيع لأجعل الأمر مقصورًا عليه..

إن كنت تستمع إليَّ الآن فأنت قد بذلت جهدًا ضخمًا أحييك عليه، ولك الحق في أن تعرف الحقيقة كاملة..

على ما أظن قد سمعت بأمر اختراع "متلازمة ستوكهولم" وأنا واثق بأنك لم تصدق أنني اخترعته..

حسنًا.. شكرًا لثقتك ولكنني اخترعته.. واخترعته بكامل إرادتي وكذلك بعته بكامل إرادتي أيضًا. كان هذا الاختراع – على خطورته– مجرد خطوة في بحث أجريته حول كيفية التحكم بجسم الكائن الحي.. لا يتبادر لذهنك أفلام الموتى الأحياء ولا من يلعب بجهاز صغير ليجعل شخص عبدًا له ينفِّذ ما يريد.. بل ما أقصده أن هناك

أشياء تحدث لا إراديًا في جسد كل منا مثل عمل القلب والهضم وما إلى آخره من الوظائف التي تتم عن طريق إشارات كهربية من مخ الإنسان للعضو دون تدخُّل الإنسان..

ولكن للأسف هناك أشياء سيئة تحدث لا إراديا كالتقاط العدوى أو تكاثُر خلايا السرطان أو حتى توقُّف أحد الأجهزة الحيوية عن العمل، فكان بحثي قائمًا على التدخُّل في تلك الإشارة الكهربية عن طريق آلة أو إنسان آخر..

بحيث يستطيع التحكم في الوظائف الحيوية في حالة انعدام مقاومة الشخص المستهدَف..

وكان هدفي طبيًا حيث يستخدم في الإنعاش وكذلك في قتل خلايا لسرطان عن طريق التواصل مع المناعة أو حتى في حالات فقدان لذاكرة..

كان بحثي يهدف إلى تحسين الجانب السيء في الجسم.. ولكنه كان مجرد بحث حيث يتطلب الملايين لإجراء التجارب والخروج بهذا المنتج.."

(ينظران لبعضهما وهما غير واثقين مما سمعا)..

"ولكن كما تعلم أي فكرة جديدة يتم تحويلها لسلاح أو لأموال.. وقد كانت جمعَتْ فكرتي بين الأمرَّين، فأرغمني أحدهما أثناء تواجدي في روسيا على محاولة تطبيق بحثي على أرض الواقع..

وقد وفَّر لي الأموال والمعامل المجهزة بالمواد اللازمة.. وقد فعلت؛ اخترعت شيئًا(يسكت قليلًا)..

عندما أقول شيئًا فأنا أقصد ذلك، فهو ليس فيروسًا، فكما تعلم الفيروس كائن حي.. ولكنه أقرب ما يكون أنني اخترعت جهاز تصنُّت على المخ، ولكن لعلمك فقط.. إنهم هددوني بحياة والدتي –الله يرحمها– ولكني مع ذلك حاولت أن أصلح الأمر..

لقد اخترعت المضاد لهذا الشيء الذي إذا انتشر سيكوِّن في أجسام من تعرضوا للاختراع ،مناعة.

كل ما عليك يا عبد الرحمن أن تفتش في هديتك جيدًا.. وأتمنى أن تكون قد علمت مناسبتها.. وبعدها سأخبرك الطريقة الأمثل لنشره.. قد تنقذ العالم .. بلِّغ سلامي لعلياء".

بعد لحظات من السكوت.. تكلمت علياء:

- هل تصدق ذلك؟

- لا أعلم..

- الآن يستطيع بعض الأشرار –إن أرادوا- السيطرة على إنسان.

- هل فهمتِ شيئًا من ذلك الكلام؟ إنه علمي أكثر من اللازم.

- إنني بكلية صيدلة إذا نسيت.. إن أي شيء يحدث في الجسم، يحدث عن طريق إشارة كهربية تصدر من المخ للعضو فينفذ الأمر.. وبالطبع عندما نقول إشارة كهربية يتبادر للذهن التردد والطول الموجي.. فلكل إشارة تردد وطول موجي خاص بها.. وحسب كلام الدكتور إنه استطاع أن يخترع شيئًا

يجعل المعرَّض للاختراع عرضة لاستقبال إشارات كهربية عن طريق شخص غيره أو عن طريق آلة.

عبد الرحمن(مستنكرًا):

- أتقصدين أنه يستطيع أن يوقف قلبي إذا شاء؟

- لا أعلم.. ولكنه يقول إنه في حالة انعدام المقاومة، أظن في الغيبوبة أو الإغماء أو قد يكون في النوم حتى.

- إنه شيء خطير حقًا.. يستحق ما فعلناه له.. وأيضًا يبرئ ذمة يوسف من أي اتهام قد اتهمه به شخص من بيع لذمته أو ما شابه.

- ولكن لماذا خصَّك بالكلام وكأني لست معك؟

- مؤكدًا أنه لم يتوقع أن أتحملك طوال هذه المدة (وضحك).
- تتحملني؟ إنني صاحبة الفضل فيما حدث في الشقة.

- حسنًا.. لن أنكر ذلك، لكن ما سبب تعلمك تلك الشفرة؟

- كما قلت لك، إنني كنت قائدة فريق الكشَّافة.. ولكني أحب اللغات جدًا وقد تعلمت ثلاث لغات حتى الصف الثالث الإعدادي وبعد...

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- ما العلاقة بين ذلك وذاك؟

- اصبر قليلًا يا شيخنا.. إنني منذ ذلك الزمن عجزت عن تعلم لغة جديدة.. فاستعضت عن ذلك بتعلُّم اللغات التي لا يراها العالم لغات.

- تقصدين شفرة مورس؟

- إنها واحدة فقط.. كذلك تعلمت لغة الإشارة، وأكثر من لغة برمجة وتعلمت أكثر من شفرة.

- فكرة جميلة.. ولكن لا يبدو عليك من الذكاء ما يكفي لكل تلك المعلومات.

علياء(بغيظ):

- يجب أن تتذكر من الذي ترجم شفرة مورس.

- حسنًا.. لقد أثبتِ جدارتك في ذلك الأمر، ولكن يتبقَّى الأمر الآخر.

- ما هو؟

عبد الرحمن(بإغاظة):

- طريقتي في الكشف عن كلمة سر خزنة البنك قبلك بأسبوع.

- حسنًا.. وضِّح لي قليلًا.. أظن أنني أستحق ذلك بعد ما فعلت بالشقة اليوم.

- إن وضَّحت لك أكثر ستكونين مدينة لي.

- بل أنت مدين لي بما حدث في الشقة.. لولاي ما وصلنا للشريط.

- حسنًا.. هذا مقابل ذاك أعطيك مفتاح حل اللغز مقابل أن تنسي ما حدث في الشقة..

ليس معقولًا أن تذليني بأمر تعلمتِه في الكشافة طوال حياتي (ضاحكًا).

- حسنًا.. موافقة.

- لقد قلت لكِ إن السرَّ يكمن في بدايات، وبالطبع ستكون البدايات بدايات الرسائل.

- كلمة في أول كل رسالة؟

- بل حرف.. ولن أقول المزيد.

- كيف حرف؟ أنا لا أفهم.

عبد الرحمن(بهدوء):

- لن أقول شيئًا.

علياء(باستسلام):

- حسنًا.. سأعرف لاحقًا.

- سيكون عليك أن تثبتي نفسكِ مرة أخرى لتعرفي أكثر.

علياء(بتحدٍ):

- سأفعل.

- سنرى..

- ولكن ما أمر أن تفتش في هديتك جيدًا؟ هل سيرسل لك هدية؟

- لا بل أرسلها مسبقًا.. في حياتي مع يوسف أعطاني هديتين.. إحداهما هذا الهاتف(ويمسك هاتفه الخاص) بعدما اشترى هو هاتفًا جديدًا قبل وفاته بشهر تقريبًا.

- والأخرى؟

- إنها نظارة شمسية قد أهداها لي منذ مدة، وقد سألته عن مناسبتها فقال "تهادوا تحابوا" فقلت له ولكني لا أرتدي تلك النظارات، فقال حسنًا ستحفظها عندك ولم يقبل أن أردها.

- حسنًا.. سنجد مرادنا في تلك النظارة.

- ولكننا نريد أن نرجع للمنزل وهذا أمر صعب.

- لماذا؟ فنحن لسنا مراقبين.

- ولكن المنزل بالطبع مراقب.. ولكن عندي حيلة.

- ما هي؟

- غدًا سأذهب لأخطب الجمعة.. ثم أذهب أنا ومجموعة كبيرة للمنزل نأخذ النظارة فهي موجودة بمكتبي ولا تحتاج الكثير من الوقت لأبحث عنها ونذهب.

- ولكن من يراقب المنزل كيف س..

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- عندما يجدنا كثيرين لن يتدخل بنفسه.. وإنما سيبلغ سيف ليأتي ومعه قوة.. وقبل وصولهم سأكون خرجت.

- إنها خطة خطرة.. ثم لماذا لا نبلغ الشرطة؟

- لقد بدأت أقتنع بنظريتك حول كون سيف ممن يريدون اختراع الدكتور.

- جيد.. أتمنى أن نكمل ما بدأنا على خير.. ولكن أين سنبيت الليلة؟

- سنبيت في أي فندق حتى الصباح.

- حسنًا.. هيَّا بنا.

عبد الرحمن(وهو يمشي ناحية السيارة):

- أظنك قد استمتعتِ بدوري كسائق خاص لك.

- وكيف لي ألا أستمتع بذلك؟

* * *

(26)

يصل عبد الرحمن و علياء للفندق ويحجزان غرفتين متجاورتين وبعد ملء الاستمارات بالبيانات اللازمة.. تقول علياء:

- أخيرًا سأنام.. فأنا لم أنم منذ فترة.

- أحسدك على هذا.

- لماذا ألن تنام؟

عبد الرحمن(ويرسم على وجهه حزن مصطنع):

- بل سأذهب عند الحلاق المجاور للفندق.

- هل تظن أن هذا هو الوقت المناسب؟

- إننا بأمان وغدًا الجمعة وسأخطب في المسجد كما تعلمين.

- حسنًا.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.. ابقي هاتفك بجوارك إن أردت أن أحدثك.

- حسنًا...

*   *   *

يرن هاتف سيف ليستيقظ من النوم.. يرد سيف:

- الرائد سيف.. من المتح...

(يقاطعه علاء بانفعال):

- لقد وجدناهما.

سيف(بانفعال وقد تنبهت حواسه دفعه واحدة):

- أين هما؟

- لقد عمّمنا مواصفاتهما في جميع الفنادق والمستشفيات كما أمرت.. ولقد ذهبا لفندق(.. ..) وهما...

سيف(مقاطعًا):

- هل هما هناك الآن؟

- نعم، إنهما بالفندق الآن.

- إنني بالطريق.. أحسنت يا علاء.

* * *

عبد الرحمن يجلس عند الحلاق في انتظار أن يفرغ الحلاق ممن يحلق له ويقلب في مجلات فنية ورياضية مجاورة له قد تراكمت بدون نظام سحب إحداهن فكانت بتاريخ قديم.. فيرن هاتفه..

عبد الرحمن(بقلق):

- ماذا هناك؟

علياء(بحماس):

- لقد حللتها إنها...

- حللتِ ماذا؟!

- طريقتك في اكتشاف كلمة السر من الرسائل.

عبد الرحمن(موبخًا):

- لقد أفزعتِني.. كان من الممكن تأجيل ذلك للغد.

- كان من الممكن.. ولكنني أردت أن أعكر مزاجك قبل أن تنام (وتضحك)..

إلى جانب أنني عرفت أمرًا من نور يجب أن أخبرك به الآن.

- حسنًا، ما الأمر الهام؟

- الطريقة أولًا...

- حسنًا، ما الطريقة؟

- لقد اتفقتما على تبديل الحروف بأرقام ولكل حرف رقم.. أليس كذلك؟

- حسنًا لقد اقتربتِ..

علياء(بحماس):

- وقد كانت الأرقام على لوحة تشبه لوحة المحمول حيث لكل حرف رقم معين قد صنعتماها خصيصا لكما أليس كذلك؟

عبد الرحمن(ضاحكًا):

- لديك خيال واسع، ولكنكِ مخطئة في تلك النقطة.

- حسنًا قد تكون على لوحة مثل...

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- ما الأمر الهام؟

- لقد اتصلت بي نور عندما استقرت بالشقة في الإسكندرية وقد حكت لي ما حدث في القسم مع سيف..

تقول نور إن خطاب التهديد من سيف بالفعل وهذا أمر كنا نعرفه مسبقًا.. ولكن الأمر الذي لا نعرفه أن شركة "السهم الذهبي" لا وجود لها والسائق الذي أوصل لنا أول رسالة تم العثور عليه مقتولًا..

عبد الرحمن(بدهشة):

- أظن الأمر كان أهم من أن يؤجَّل للصباح.. سأفكر بالأمر ونتناقش صباحًا..

- تصبحين على خير..

- وأنتِ أيضًا.

* * *

بعدها بقليل يصل سيف ليجد علاء يقف بسيارته الخاصة أمام الفندق..
يستقبله علاء قائلًا:

- لقد وصلت من فترة ولكني انتظرتك.. ومعي ثلاثة عساكر في حال قاوما.

- ألم يخرج أحد منهما؟

- ليس وأنا هنا.

سيف(مبتسمًا):

- كنت دائمًا عند حُسن ظني.. أحسنت.

- بفضل بتوجيهات سيادتك.

سيف(مبتسمًا):

- هيَّا بنا.

(ويدخل سيف وعلاء للاستقبال ليعرفا في أي غرفة يوجد عبد الرحمن وعلياء).

* * *

يتصفح عبد الرحمن إحدى المجلات وتقع عيناه على أحد الأخبار يجذب انتباهه ثم ينظر بشرود أمامه وهو يسترجع كلام علياء.. ثم يمسك هاتفه بسرعة.
يرن هاتف علياء لفترة ثم ترد..

علياء(بصوت ناعس):

- ماذا حدث؟

- يجب أن تغادري الفندق الآن.. الشرطة في طريقها إليكِ.

علياء(وقد طار النعاس منها):

- ماذا؟ كيف عرفوا مك..

عبد الرحمن(مقاطعًا بانفعال):

- لا يوجد وقت للسؤال.. لقد رأيتهم وهم صاعدين إليكِ.

علياء(بقلق):

- ماذا أفعل الآن؟

- السلالم.. تحركي الآن، إنهم يتحركون نحو المصعد.

(تغلق علياء الخط وتذهب مسرعة إلى السلالم وتنزل بسرعة حتى الدور الأول) .. يرن هاتفها فترد وهي تسير نحو البوابة فترد).

عبد الرحمن(بحزم):

- توقفي الآن

علياء(تتوقف بفزع):

- ماذا هناك؟

- هناك من يتوقف على البوابة في حال حاولتِ الخروج منها.

- حسنًا.. سأتصرف.

* * *

في نفس الوقت.. يصل سيف وعلاء للغرفتين..

وقد كّونا مجموعتين، مجموعة يترأسها سيف ومعه عسكري والمجموعة الأخرى يترأسها علاء ومعه آخر وكل مجموعة في غرفة..

أشهر كل منهما السلاح - تمامًا كما نرى في الأفلام- طرقوا الباب فلم يرد أحدٌ، فتحوا الأبواب بالمفاتيح التي أخذوها من الاستقبال..

بعد أن خرجوا من الغرف..

قال سيف(بعصبية):

- أين ذهبا؟

علاء:

- لا تقلق، إن حاولا الخروج..

سيف(مقاطعاً):

- هيَّا بنا.. سنفتش كل جزء في هذا الفندق.. أرسل عسكري آخر يقف على البوابة.

- تمام (ويرسل أحدهم بالفعل).

ينزلوا بسرعة نحو الاستقبال..

سيف(لموظف الاستقبال):

- هل للفندق باب آخر؟

- بالطبع.. هناك البوابة الرئيسية(ويشير نحو البوابة).. وهناك باب يصل العاملين بالمطبخ بالشارع وكذلك باب يصل العاملين بالمغسلة بالشارع وبالطبع ثلاثة أبواب للطوارئ.

- حسنًا.. أريد إغلاقهم جميعًا.

- الأمر ليس بيدي.. سأستدعي لك مدير الفندق(ويستدعي مدير الفندق).

بعد دقائق مرت كساعات على سيف..

مدير الفندق(بهدوء): أهلًأ.. أتشرف بحضرتك.

سيف(بعصبية):

- أنا الرائد سيف المصري.. أريد إغلاق جميع منافذ الفندق الآن، لا أملك وقتًا.

مدير الفندق(بنفس الهدوء):

- هل معك إذن نيابة؟

سيف(بتحدٍ):هل تريد أن تلعب تلك اللعبة معي؟

مدير الفندق(بابتسامته الهادئة):

- أي لعبة؟ نحن فندق يقصده أجانب وزوار مرموقين ومن حقهم علينا أن يكون كل ما يحدث في الفندق قانونيًا وهذا...

سيف(مقاطعًا وهو يخرج سلاحه):

- حسنًا.. سنرى إن أتي الأجانب وزوارك المرموقين مرة أخري بعد سماع طلقات نيران حدثت في مطاردة بعض العناصر المشتبه بهم.

مدير الفندق(وقد زالت ابتسامته):

- حسنًا.. أستطيع أن أغلق لك جميع الأبواب باستثناء البوابة الرئيسية فلن يشعر أحد بذلك.. وكذلك نستطيع أن نراقب من يخرج.

- موافق..

فيجري المدير بعض الاتصالات ويقول بعدها: الفندق لك بالكامل.

* * *

في نفس الوقت.. عبد الرحمن(على الهاتف): أين أنت الآن؟

- اذهب أنت.. سأخرج الآن

- كيف ستخرجين؟

- لا تقلق.. ولكن اذهب أنت، إنهم يبحثون عن رجل وفتاة.

- حسنا.. بمجرد خروجك يجب أن أحدثك بشيء هام جدًا

- لنوفر حديثنا الآن لأن بطارية هاتفي قد أوشكت على النفاذ.

- حسنًا...

* * *

سيف(لعلاء):

- اطلب قوة أخرى.. يجب أن ننتهي من أمر هذا الفندق سريعًا.

- حسنًا.. (ويمسك جهاز اللاسلكي).

يرن هاتف سيف فيرد:

- الرائد سيف المصري.. من معي؟

يجيبه صوت أنثوي:

- علياء.. أظنكِ تتذكرني.

- حسنًا.. لماذا تهربين؟ أعلم أنكما لم تقتلا أحدًا.

- نحن لا نهرب من الشرطة.. فقط نهرب منك.

سيف: لا تقلقا.. مجرد وقت وأجدكما.

(فيسمع صوت ضحكها)، ثم تقول له:

- لقد اتصلت لأسأل سؤالًا واحدًا.

- ما هو؟

- كم عرضوا عليك؟

سيف: من هم؟

- إنني أعلم سرك فلا تماطلني أو تتحدى ذكائي سأتصل بك ثانية (وتغلق الخط).

(يفكر سيف قليلًا فيما قالته علياء ثم ينادي على علاء).

فيرد علاء:

- حضرتك، إننا نفتش جميع الغرف..

سيف(مقاطعًا):

- أريدك أن تفتش الحمامات

علاء(متعجبًا):

- والغرف؟

- لقد اتصلت بي وسمعت صدى صوتها في المكالمة.. أظنها مختبئة في حمام.

- ولكن هناك حمامات في كل دور.. سننتظر القوة إنها في الطريق.

- لا تنتظر شيئًا.. أحضر أحد الواقفين على البوابة.. ماذا تنتظر هيًّا بنا سنبدأ الآن. (وينصرف).

- حسنًا.

سيف يبدأ في البحث (ويرن على هاتف علياء ليسمع صوته إن اقترب منها ليجده مغلقًا).

بعدها بعشر دقائق بعد أن وصل التفتيش للدور الرابع من أصل سبعة أدوار يرن هاتف سيف مرة أخرى بنفس الرقم.. يرد سيف قائلًا:

- أظنك تريدين أن توفري الوقت أليس كذلك؟

(ويحاول أن يركز في فهم الأصوات التي يسمعها ليستدل على مكانها)

(تضحك علياء بشدة).. سيف(وهو مستمر بالبحث):

- شاركيني ما يضحكك.

- حسنًا.. هذا هدفي فعلًا.. قل لي هل أعجبتك خدعة الحمام؟

(يقف سيف مصدومًا).

- لقد أخبرتك ألا تتحدي ذكائي.. لقد كنت بحمَّام غرفتي.. والآن أظنك تسمع صوت الشارع.. لقد خرجنا منذ فترة.. فقط أتصل لأوفر لك الوقت.

(تضحك وهي تبعد الهاتف عنها ليسمع الصوت المحيط بها).

سيف(مصدومًا):

- كيف؟

- إن البوابة مفتوحة أمام من يريد.

(تضحك وتغلق الهاتف).

(ينزل سيف بعدها إلى الشارع ويستدعي علاء وكل من حضر معه ويرمي سيجارته بعصبية).

سيف: لقد كانا بين أيدينا.. مشّطا المنطقة جيدًا أريدهما الآن.

(وينصرفوا بالسيارات).

بعدها بقليل تخرج علياء من البوابة وتهرب بشكل عشوائي لا تعلم إلى أين تذهب.. وتتذكر أنها يجب أن تتصل بعبد الرحمن لتخبره أنها خرجت وليخبرها ذلك الأمر الهام.

تتصل علياء بعبد الرحمن فيرد سريعًا.. فيأتيه صوت علياء قائلًا:

- لقد هربت من سيف.. تحدث بسرعة لأن الشحن قد ينفذ في أي وقت.

عبد الرحمن(بسرعة):

- أظننا ارتكبتا خطأ.. خطأ كبيرًا.. إن اللوحة الموجودة في المنزل..

(يفصل هاتف علياء ويتركها في حيرة).

* * *

تقضي علياء الليلة في شقة استأجرتها بعض صديقاتها في الكلية من محافظة أخرى وقد أعطينها المفتاح لكي تذهب للشقة في الطوارئ كحدوث مشكلة بالسباكة أو ما شابه وذلك بسبب عدم تواجدهن في الإجازة بالقاهرة.

* * *

(27)

تقضي علياء ليلتها في التفكير في الخطأ الذي تحدَّث عنه عبد الرحمن فهما قد حلا الشفرات ووصلا للشريط وعرفا مكان المضاد للفيروس الذي اخترعه للدكتور..

وبعد فترة نامت بعد إجهاد لعقلها دام طويلًا. استيقظت في الصباح الباكر مع دخول الشمس للغرفة فنزلت لشراء شاحن لهاتفها وترجع لتشحنه.. وتشغل الهاتف لتجد رسالتين..

إحداهما كانت من شركة شبكة المحمول تبلغها بأن والدتها قد حاولت الاتصال بها، والثانية كانت من عبد الرحمن وكانت: "لقد ارتكبنا خطأ جسيمًا يجب أن نصححه قبل فوات الأوان إننا في الجانب الخطأ.. كذلك أظن أن سيف ليس كما نظن..

لقد طرأ تغيير بسيط على الخطة سأبلغك به عندما نتحدث".

تتصل علياء بأمها وهي خائفة مما ستقوله لها وأيضًا مما قاله عبد الرحمن..

ترد والدتها:

- آلو.

- آلو..

- كيف حالك؟ لقد افتقدتك كثيرًا.

- إنني بخير كيف حالك أنت؟

- إنني بخير، لقد اتصلت لأخبرك بوصولي غدًا بإذن الله.

- حسنًا.. فلتأتِ بالسلامة.. بلغي سلامي لخالتي.

- سأبلغه.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

تغلق الخط وتشعر علياء بارتياح فهي ظنت أن أمها وصلت أمس ولم تجدها في المنزل وكانت ستضطر علياء لشرح كل هذا لأمها.

تتصل علياء بعبد الرحمن، ولكن تجد هاتفه مغلقًا، تحاول أكثر من مرة وتقرأ الرسالة أكثر من مرة..

ثم تقرر الانتظار لبعد صلاة الجمعة.. ثم تسأل نفسها ماذا اكتشف ليجعلنا نثق في سيف؟

* * *

يدخل عبد الرحمن المسجد الموجود أمام منزله وينظر لمن يراقبه في عينه بتحدٍ.. يصعد المنبر بجلبابه الأبيض ويقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم يرفع المؤذن صلاة الجمعة.

بعدها بقليل يأتي سيف وعلاء ويدخلان المسجد ويجلسان أمام المنبر مباشرة وينظر سيف لعبد الرحمن في عينيه مباشرة.. فينظر له عبد الرحمن مبتسمًا ويومئ له معبرًا عن ترحيبه.

يبدأ عبد الرحمن الخطبة وكان خطيبًا مفوهًا حقًا:

((بسم الله الرحمن الرحيم.. والصلاة والسلام على رسوله الكريم.. والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين أما بعد.. سنتحدث اليوم في موضوع قد طال الحديث عنه ولكن لم يوفِه حقه.. إنه أكبر الألغاز وأبسطها على الإطلاق.. إنه الموت.. قال الله تعالى في كتابه الكريم في سورة الزمر:

بسم الله الرحمن الرحيم

{إنك ميت وإنهم ميتون}..صدق الله العظيم. ما هو الموت؟ وكيف يحدث؟ وماذا يحدث بعده؟

بداية أحبائي في الله كلنا نعلم أن حياتنا هذه قصيرة وإن طالت..

فحينما جاء ملك الموت ليقبض روح نبي الله نوح والذي عاش أكثر من ألف عام، سأله: يا أطول الأنبياء عمرًا، كيف وجدت الدنيا؟

فقال –عليه السلام- : كدارٍ لها بابان.. دخلت من أحدهما.. وخرجت من الآخر.

فالفطن من يفهم أن العيش في الدنيا تقديم لحياة الآخرة"..

وحياتنا لم تبدأ بعد، حيث يقول الله تعالي على لسان بني آدم يوم القيامة في سورة الفجر: بسم الله الرحمن الرحيم:"يا ليتني قدمت لحياتي"

صدق الله العظيم

فنحن في الحياة الدنيا نلهو ونلعب وننسى أن الآخرة خير وأبقى..

نعصي الله وننسى أن أمرنا كله بيده.. نأخذ النفس تلو النفس.. ومن كثرتها نسينا أننا لا نضمن النفس الذي نتنفسه..

فقد نأخذ الشهيق في صدرنا ولا نستطيع أن...))

وقبل أن يكمل، سقط أرضًا.. رصاصة جاءت مباشرة لقلبه فسقط.. لم يحبو على الأرض قبل موته.. لم يجاهد ليتكلم بصوت خفيض..

فقد سقط جثة هامدة فورًا.

يضطرب المسجد والمصلون.. منهم من هرب ومنهم من اتصل بالإسعاف ومنهم من ذكر الله بصوت عالٍ بدون أي فعل..

تحرك سيف بسرعة وخرج من المسجد وحاول أن يرى القناص الذي قتل يوسف على أحد البنايات المواجهة، بينما حمل علاء، عبد الرحمن إلى

المستشفى الموجودة في آخر الشارع.. حيث أدخلوا عبد الرحمن إلى العناية المركزة وعيَّن عليه حراسة بالطبع.

* * *

منذ عشر دقائق في الحارة..

بعد أذان الجمعة مباشرة، ترى الحارة قد اختلفت تمامًا.. حيث ترى الأطفال يذهبون في مجموعات للصلاة.. وترى الرجال بجلاليبهم يتوجهون للمسجد، من بينهم ذلك الرجل الذي يبدو الوقار على هيئته بعمامته وزيه الأزهري..

يتجه الرجل صوب إحدى العمارات المواجهة للمسجد ويصعد للسطح..

ثم تراه قد خلع عمامته وزيه الأزهري لتظهر تلك البندقية التي ربطها حول جسمه من الجانب بطوله.. سكب البنزين على ملابسه الأزهرية وحرقها، ثم ثبَّت البندقية.. نظر في العدسة ثم أطلق النار.. فسقط عبد الرحمن.

فحمل الرجل بندقية القنص بسرعة وانصرف الرجل كأنه لم يأت قَط.

* * *

يحصر سيف البنايات الموجودة أمام المسجد بنظره ثم يستبعد منها ما لا يمكن صعوده أو ارتفاعه غير كافٍ.. فيتبقى عمارتان سكنيتان.. يجد أن إحداهما يتصاعد منها دخان أسود فصعدها سيف بسرعة.. يرى سيف الملابس وهي تحترق وكذلك فارغ الرصاصة التي قتلت عبد الرحمن.

ينزل سيف بسرعة ويبحث في المنطقة ويطلب أن تغلق كل مخارج الحارة وما إلى آخره، ولكن بدون فائدة فقاتل عبد الرحمن قد هرب بالفعل.

* * *

يرن هاتف علياء، فترد:

- مَن معي؟

سيف(ويخيم على صوته الحزن):

- إنه أنا الرائد سيف.. لا تغلقي الخط.

- لا تقلق، لقد أخبرني عبد الرحمن أن أثق بك.. آسفة على ما حدث في الفندق الأمس.

- هناك من حاول اغتيال عبد الرحمن.

علياء: ماذا؟ وكيف حاله الآن؟

- إنه في العناية المركزة.. لقد أخطأت الرصاصة قلبه بمسافة بسيطة، ولكنها استقرت بجسده ويقول الأطباء أنهم إذا حاولوا إخراج الرصاصة فسيموت لا محالة.. لذلك يبقونه على الأجهزة إلى أن يأتي قضاء الله.

علياء(بهستريا):

- ماذا تقول؟ أمات عبد الرحمن؟

- إنني أقول لك كل هذا لأخبرك بأنك أيضًا في خطر..

إن من حاول قتل عبد الرحمن أظنه سيخطط لقتلك أيضًا.. يجب أن نتقابل.

تغلق علياء الخط وتبكي كثيرًا، لا تعلم ما يتوجب عليها فعله.. ثم تقرر أن تكمل ما بدأته مع عبد الرحمن.. و لن تضيّع حياة عبد الرحمن بدون فائدة وتنزل من البيت.

تذهب علياء لمنزل عبد الرحمن ..وبالطبع قد غابت عنه كل ألوان المراقبة، فتحاول أن تدخل من الشباك فتجده موصدًا بإحكام فتحاول أن تكسر الباب وبمجرد أن تدفعه قليلًا يُفتَح ببساطة أمامها لأنه لم يكن مغلقًا فتذكرت أن عبد الرحمن لم يغلق الباب في آخر مرة ترك فيها المنزل يوم الخميس..

* * *

يتقابل عبد الرحمن و علياء في أحد المطاعم الكبيرة في القاهرة..

عبد الرحمن: ماذا هناك؟ لقد أتيت مسرعًا حتى دون أن أغلق باب المنزل.

علياء: ألا تخشين السرقة؟

عبد الرحمن (ضاحكًا): كيف أخشاها مع جلوس الشرطة أمام بيتي طوال اليوم

علياء:حسنًا.. لا وقت للتحدث..

* * *

تدخل علياء وتبحث عن مكتب عبد الرحمن لتجده في زاوية غرفة النوم..

تفتح أحد أدراجه لتجد علبة لحفظ النظارة تفتحها وتضع النظارة على المنضدة ثم تفتش في العلبة فلا تجد شيئًا وتكسر غلافها البلاستيكي من الخارج فلا تجد شيئًا فتقطع القماش الموجود بداخلها ليحفظ النظارة من الخدوش، فتجد أنبوبة معدنية رفيعة في سُمك إصبع السبابة تقريبًا.. لونها أسود تمامًا وملساء.. باردة تشعرك بالرهبة مع صغر حجمها.. تحرِّك العبوة فتسمع صوت سائل داخلها.. فتضع الأنبوبة في حقيبتها وتنصرف.

* * *

عبد الرحمن: غدا سأذهب لأخطب الجمعة.. ثم أذهب أنا ومجموعة كبيرة للمنزل نأخذ النظارة فهي موجودة بمكتبي ولا تحتاج الكثير من الوقت لأبحث عنها ونذهب.

علياء: ولكن من يراقب المنزل كيف س..

* * *

بعدها بساعة يرن هاتف علياء فتجيب.. تردعلياء:

- من معي؟

- إنه أنا.. لماذا أغلقتِ الخط؟ ولماذا لا تجيبين؟

- أتظنني غبية؟ لقد قبضت على عبد الرحمن أو حتى قتلته..

كل هذا لأنك طماع تريد المال ولا يهمك التأثير المدمِّر لاختراع الدكتور.. أهم ما عندك أن تتخلص من المضاد له.

- الأمر ليس كذلك، إن عبد الرحمن قد أخبرني بكل هذا أمس ليلًا.. وقد استأذن في خطبة الجمعة وقد أذنت له.. وقُتِلَ فيها.

علياء(ضاحكة):

- قد تظنني طفلة.. لكنني لست كذلك.. في الأمس تقوم بمطاردتنا وبعد أن نتفرق يغلق هاتف عبد الرحمن ولا أعرف أخباره سوى من رسالة ليبلغني فيها أن نثق بك..

بعدها تتصل بي لتخبرني مقتل عبد الرحمن ومن المفترض أن ألجأ إليك لتحميني.. قد تكون أنت من أرسلت الرسالة.

- كيف أثبت لك أنني بجانبكِ؟

- لا تثبت.. لقد توصلت لمضاد الاختراع (وتغلق الخط).

وتنتظر ساعتين مرًّا عليها طويلًا.. ثم تفتح الهاتف لعل تأتيها رسالة لتبين لها التعليمات الجديدة، وبالفعل هناك رسالة ولكنها من سيف: "أتظنين أن معلوماتي قد أحضرتها من عبد الرحمن تحت ضغط؟حسنًا.. هل كان سيخبرني أيضًا عن طريقة كشفه لكلمة سر خزنة البنك قبلك بأسبوع تحت ضغط"

تتردد علياء قليلًا ثم تتصل بسيف:

- قل لي الطريقة وإلا اعتبرتها إحدى ألاعيبك.

- إنني لا أعرفها.. ولكنه قال إن هذه الكلمة ستجعلك تصدقين.

- حسنًا.. ولكن هذا لا يعني أنني أثق بك.

- أين أنتِ؟

- لن أخبرك.. ولا تجعلني..

سيف(مقاطعًا):

- حسنًا.. لا تخبريني بأي شيء، ولكن إن اتصل بك أحد لكي يأخذ ما تملكينه هل ستعطينه إليه بكل بساطة؟

- ربما.. فمن سيعطني التعليمات سيكون الوحيد الذي يعلم بشأن ذلك الاختراع

سيف(مستهزئًا):

- حسنًا.. كان من الممكن أن أجعل أي فرد هنا يتحدث معك ويخبرك أنه يريد هذا الاختراع ويجب أن تقابليه في أي مكان وكنت ستعطينه إياه.. أليس كذلك؟

علياء(مترددة): ماذا تقصد؟

- أقصد أن الذي يعلم بشأن هذا الاختراع من اخترعه وأنا وكذلك من قتل عبد الرحمن فيجب أن تتأكدي ممن يحدثك.

- سأفعل.. الآن جاءتني رسالة إلى اللقاء(وتغلق الخط).

كانت الرسالة من رقم ظهر على الشاشة تحت اسم "رقم خاص": "البقاء لله.. ولكن يجب أن تكملي .. ستذهبين إلى كليتك وتتوقفين أمام الباب الذي طالما دخلتِ منه.. في خلال ساعة "

* * *

(28)

تقف علياء مترددة تتذكر رسالة عبد الرحمن وتتذكر كلام سيف وأنها لا بد أن تتأكد ممن يحدثها.. وكذلك تفكر في الرسالة القادمة لها فتتردد في إبلاغ سيف بالرسالة، ولكنها تقول إنه لا يستحق الثقة فعبد الرحمن حكى لها ما جعله يشك به أيضًا، ولكنها تتذكر كيف كانت الرسالة بأسلوب عبد الرحمن فإنها لم تشك بها حتى علمت بالحادثة التي ألمت به.. ولكنها حزمت أمرها على أن تضيف رقمه على الاتصال السريع لتستطيع الاتصال به في أي وقت.

* * *

تنزل علياء لتذهب أمام باب كليتها الخاص..

تقف في البرد والشارع هادئ تمامًا.. تسمع مواء قط من هنا ونباح كلب من هناك..

ينقصها فقط غراب ليكتمل مشهد الرعب..

وبعد دقائق تأتي سيارة عالية سوداء تتوقف أمامها وينزل السائق ليفتح الباب الخلفي لها ثم يعود ويجلس على عجلة القيادة دون أن يتكلم..

تأتي رسالة لهاتفها من رقم خاص"اركبي السيارة".

تركب علياء السيارة وهي خائفة.. فهي لم تعرف أنها ستتحول من مكان لآخر.. تفكر بالاتصال بسيف، ولكن وإن اتصلت به ماذا سيفعل لها فهو لا يعرف مكانها فتمد يدها في حقيبة يدها وتمسك الهاتف وتكتب ويدها بداخل الحقيبة..

"تتبَّع هاتفي"

تقف السيارة بعد مشوار دام نصف ساعة.. ولم ترسل علياء الرسالة بعد فهي لا تريد أن يراها السائق وهي تبحث عن رقم سيف.. ينزل السائق ليفتح لعلياء الباب وهنا تبحث علياء بسرعة على رقم سيف وترسل له الرسالة..

تنزل علياء لتجد نفسها على شاطئ النيل ولكن بمنطقة مهجورة فلا يوجد بنايات قريبة..

تنظر علياء أمامها لتجد السائق ينظر لها بابتسامة، ويتكلم لأول مرة:

- من فضلك أعطني الهاتف.

- لماذا؟

- إنني أنفِّذ ما بلغني من أوامر فقط (ويمد يده لتعطيه الهاتف).

- حسنًا.. وإن رفضت؟

- لن تركبي ذلك القارب ما دام الهاتف معكِ.

(ويشير نحو قارب بمجدافين يتهادى على الضفة أمامهما).

- أنا لن أركبه بأي حال.. فأنا لا أجيد السباحة وأخشى الماء بوجه عام.

- حسنًا في هذه الحالة.. سأعيدك لنفس المكان الذي أخذتك منه.. ولكن أظن أن تحملك كل تلك المشاق لن يوقفها الخوف من الماء.

علياء(مترددة وهي تنظر للقارب بخوف):

- حسنًا.. ولكن حافظ عليه(وتمد يدها لتعطيه الهاتف)

(يستدير السائق ويرمي الهاتف في الماء)، ثم يقول: الآن يمكنكِ أن تركبي القارب.

(تنظر علياء برعب للمكان الذي سقط به الهاتف وتعلم أن آخر خيط مع سيف قد انقطع الآن.. وأيًا كان ما تواجهه فستكون وحدها في مواجهته).

تركب علياء القارب ويركب هو ويبدأ بالتجديف حتى يصل لنصف النهر ويتوقف.

علياء(وقد بلغ الخوف منها مبلغه):

- لماذا توقفنا؟

السائق(بابتسامة):

- لا داعي للخوف.. هنا ينتهي دوري.. سيأتي من يقابلك لتنتقلي لقاربه وأعود أنا بهذا القارب.

(تنظر علياء لتجد بالفعل قاربًا يقترب من الضفة الأخرى ببطء).

يتوقف القارب على بُعدٍ ويشير لهما من فيه فيجدِّف السائق بقاربه أكثر حتى يقترب من القارب الثاني..

يتوقف القاربان بجوار بعضهما البعض تمامًا.. وتنظر علياء لتجد رجلًا جالسًا وقد أعطاها ظهره.. يشير لها السائق فتنزل علياء بخوف من قاربها للقارب الآخر.

تقول:

- حسنًا لقد أتيت، كيف تثبت لي أن أثق بك؟

يستدير الرجل الموجود في القارب ويبتسم لها.

(تخرج من علياء شهقة ناجمة عن خليط من الذعر والمفاجأة والارتباك وعدم الفهم) تقول:كيف؟

* * *

دارت بعقلها كل تساؤلات الفترة الماضية.. فقد كان هناك من التساؤلات ما يجعلها تبقى العمر كله تفكر.. ولكن كلما طرأ لهما تساؤل يحدث شيء تنخرط فيه فتنسى تساؤلها.. بدأت بالتساؤل حول كيفية إرسال الرسالة الرابعة التي كانت عن طريقة المجموعة؟ وتساءلت حول من يجري كل هذه الأمور ويعطيها كل هذه الأوامر؟

تساءلت إن كانت شركة البريد وهمية فمن أسسها؟ وكيف اتفق معهم الدكتور على أن يرسلوا الطرد بعد وفاته بثلاثة أيام..إن الجثة الموجودة في الشقة كانت متفحمة تمامًا ولم يتعرفوا عليها سوى من الساعة...كيف لم تفكر للحظة في أن الدكتور حي؟!

* * *

علياء مازالت تقف مصدومة أمام الدكتور، في حين يتكلم الدكتور قائلًا:

- ألستِ سعيدة برجوعي للحياة؟(ويضحك)

- لماذا؟!

- لأن ما اخترعت كان قيمًا حقًا.. وهناك من راقبني ليعرف مكانه.. أما أنتما فلم يراقبكما أحد.. كذلك لقد كانت لعبة جميلة.. فقد كان بإمكاني أن أسهّل الأمر عليكما وأجعلكما من أول رسالة تكتشفان مكانه.. ولكنني استمتعت برؤيتكما وأنتما تتخبطان.

- ومن مات في شقتك؟

- إنه لا شيء.. واحد من الكثيرين الذين وجودهم في القبر أكثر فائدة من وجودهم في الحياة.

- أقتلته؟

- إنه أحد مجرمي المنطقة.. لم تفتقده المنطقة ولم يسأل عنه أحد.. إن العالم أفضل بدونه.. صدقيني(ويمد يده): أين هو؟

علياء(مصدومة):

- لقد قتلت أحدهم.

- أنا لست بحاجة لتبرير ما فعلت.. كل ما فعلت كان لإنقاذ العالم (يمد يده ثانية).

تتشبث علياء بحقيبتها ولا تعطيه القنينة.

- إننا في نفس الجانب أليس كذلك؟

تتذكر علياء رسالة عبد الرحمن:

"لقد ارتكبنا خطأً جسيمًا يجب أن نصححه قبل فوات الأوان إننا في الجانب الخطأ.. كذلك أظن أن سيف ليس كما نعتقد.. لقد طرأ تغيير بسيط على الخطة سأبلغك به عندما نتحدث"

تغمغم علياء بصوتٍ خافضٍ: وإن كنا جميعًا على الجانب الخطأ؟

يقول الدكتور:

- لم أسمع جيدًا.

علياء(تكرر بصوت أعلى):

- وإن كنا جميعًا على الجانب الخطأ؟

- ماذا تقصدين؟

- إن عبد الرحمن قد أخبرني أننا...

الدكتور(مقاطعًا بانفعال بالغ):

- إن كان قد أخبرك.. لماذا آتيتِ؟ لماذا تفاجأتِ برؤيتي؟

علياء(مصدومة):

- هل كان يعرف الأمر؟

الدكتور(ضاحكًا):

- لم تعرفي وقد أخبرتك لتوي أليس كذلك؟

علياء(بإصرار):

- أكان يعرف؟

- لقد اكتشف ذلك وأراد أن يبلغك.. أظنه شك بي.

- ولكنه لم يخبرني بشيء.

- لقد أخبرك، ولكن لم تفهمي.

- وكيف عرفتِ؟

- بطريقتي الخاصة.. أيا كان.. أعطني إياه الآن (ويمد يده).

علياء: لن أعطيك إياه.

الدكتور(يخرج مسدسًا):

- أظنك ستعطيني إياه.

أستقتلني؟

- لن تكوني أعز من عبد الرحمن عندي.

- هل أنت من قتل عبد الرحمن؟

- أعطني إياه لا وقت للكلام.

(علياء تخرج القنينة من الحقيبة وتتوقف فجأة).

تقول: إن كان هذا الاختراع نبيلًا فلماذا تفعل كل تلك الأشياء؟

الدكتور: أظن في النهاية أنه لكِ الحق في أن تفهمي.. لقد اخترعت ما يتحكم في الوظائف الحيوية اللاإرادية.

- لقد فهمت ذلك من التسجيل الصوتي.. على الأقل هناك أمر صادق في كل هذا.

الدكتور(ضاحكًا بسبب تعليق علياء):

- حسنًا.. لقد جعلت هذا الاختراع ينتشر بأسرعِ وسيلة على الأرض..

- جعلت العدوى تنتقل بالهواء؟

الدكتور(ضاحكًا):

- تفكير بدائي.. إن هذا الفيروس يخاطب الإشارات الكهربية بالمخ.. إنه يخاطب الطاقة ولذلك جعلته ينتقل عبر طاقة أيضًا. إن العالم كله مصاب به منذ سنين تحديدًا بعدما اخترعته بأسبوعين.. أنتِ مصابة به وأنا كذلك.

علياء(وهي ممسكة بالعبوة):

- ولكن المضاد له في هذه العبوة أليس كذلك؟

- أظنكِ لم تفهمي بعد.. إن هذا الاختراع لا يهاجم المناعة لنصنع له مضادًا..

إنه يتواصل مع إشارات المخ.. إنه يجعل كل منا مستقبِلًا جيدًا في حال كان المرسل موجود، بينما ما في يدك يصنع ..

علياء(مقاطعة): المرسل..

- صحيح.. لطالما اعتبرتك أذكى تلامذتي.

- أتقصد.. أن الاختراع في حد ذاته ليس له قيمة ما دام المضاد له لم يستعمله أحد.

الدكتور(يصفق بأداء مسرحي يجعل القارب يهتز):

- لقد فهمتِ أخيرًا.. أعطني العبوة.

- ارتكبت ثلاث جرائم قتل من أجل أن تسيطر على الناس؟ليس لتنقذ العالم.. لقد استغللت ثقتنا بك.

(وتلتفت فجأة ناحية الماء وتفتح العبوة لتسكب ما فيها في الماء).

يصرخ الدكتور:

- لا تفعلي.. سيتحلل بمجرد فتح العبوة إنه يتحلل بالضوء.

(ولكن قد سبق السيف العزل).

فتحت علياء العبوة وبمجرد خروج السائل من الزجاجة تحول لشعاع أصفر قوي امتصه وجه علياء مرة واحدة مما جعل قشعريرة تسري في جسدها وتصلبت أطرافها ثم سقطت على القارب.. تتصبب عرقًا مع ارتفاع درجة حرارتها الذي يزيد بزيادة الوقت .

صوَّب الدكتور المسدس عليها وقال:

- لقد قلت لكِ إنه يتحلل بالطاقة.. لماذا لم تتذكري أن الضوء طاقة؟ لقد امتصه جسدك بالكامل ولم يصبني شيء منه.. كل ما فعلتُه ضاع بسبب غبائك

ثم تسمع الرصاصة لتخلصها من ألامها..

وتسقط في الماء وكان إحساس السقوط في الماء ممتعًا حقًا.. كان كالخروج من الجحيم للجنة بقفزة واحدة..

أغمضت عينيها وتاهت منها الدنيا.

* * *

(29)

منذ ساعة مضت بعد ما أنهى سيف المكالمة مع علياء..

سيف يجلس مع تقني استعان به لمعرفة مكان علياء، يسأله سيف:

- هل استطعت تحديد مكانه؟

التقني(يومئ): نعم.

سيف(بحماس):

- حسنًا، اكتب لي العنوان. وينظر لعلاء قائلًا: جهز السيارة.

- تمام (وينصرف).

يأخذ سيف العنوان ويذهب مسرعًا للسيارة..

يحثه سيف على أن يسرع:

- أسرع.. يجب أن نصل قبل أن تغادر المنزل.

(يومئ علاء برأسه ثم يزيد من سرعة السيارة).

يصل سيف وعلاء تحت المنزل.. يقول سيف

- أتمنى ألا نكون قد تأخرنا.

علاء:حسنًا.. ولكن ألن نحقق في أمر حادثة عبد الرحمن التي حدثت اليوم؟

- إننا نحقق في الأمر الآن.

- لا أفهم.

- إن عبد الرحمن قد اتصل بي الأمس وقد أخبرني أنه يريد أن آتي اليوم في صلاة الجمعة للمسجد، وقد أخبرني أنه يشك في كون يوسف حيًا وكذلك يشك في...

يقاطعه علاء:

- ماذا؟ يوسف حي؟ أتقصد دكتور يوسف؟

- لقد شرح عبد الرحمن لي كيف شك بذلك.. ولكن ليس الآن.

- حسنًا.. لقد نزلت.

(تنزل علياء وتوقف سيارة أجرة وتركبها).

- ابقَ خلف السيارة ولكن حافظ على مسافة كافية حتى لا تكشفنا.

- حسنًا.

(بعد قليل تتوقف السيارة أمام باب الكلية وتنزل علياء منها)

وتأتي سيارة تركب فيها علياء، فيكملان مراقبة علياء..

يسأل علاء:

- ولماذا لا نعلمها بأننا نراقبها؟

- لأنها تشك بنا.

(ينظر علاء بعدم الفهم لسيف).

سيف(بسرعة):

- انتبه للطريق..

علاء(بتعجب):

- ولكن كيف؟ ألسنا الشرطة؟

- لقد وضَّح لي عبد الرحمن ذلك.. فبسبب رسالة التهديد ظنَّا أننا في جانب من يسعى وراءهم.

- وهل أقنعت عبد الرحمن بذلك؟

- إن عبد الرحمن كان مقتنعًا من قبل لسبب آخر.

- ما هو؟

- في يوم الحادثة بينما كنت أكلم عبد الرحمن، اتصل بي سيادة اللواء.. وقد دار الحوار بيننا كالتالي.. رنَّ هاتفي فرددت فوجدت من يقول:" معك اللواء شوقي يا سيف".. وكان الحوار كالتالي:

- تحت أمرك يافندم..

قاطعني اللواء:

- إنني سمعت عن حادثة الحريق هل ذهبت لها؟

- أنا أمام المنزل..

- هل يوجد ضحايا؟

- نعم..

- من هم؟

- يوسف..

يقاطعني اللواء: وما حالته؟

- لقد مات.

- أيوجد خطورة في توسع هذا الحريق؟

- لقد انتهى الأمر.

- لقد علمت أنه حريق كيميائي، فربما اشتعل من جديد.

- لا، لا يوجد أي خطورة، لا تقلق.

ولكن عبد الرحمن سمعني أنا فقط وفهم الأمر بصورة خاطئة.

* * *

سيف:واثق؟ إن الجثة مشوهة من الحريق تمامًا..

يرن هاتف سيف الخاص فيجيب بسرعة ويبدو عليه الاهتمام..سيف(يتكلم في الهاتف وينتظر ليسمع محدثه ثم يكلمه):حسنًا.. أنا أمام المنزل.. نعم.. يوسف.. لقد مات.. لقد انتهى الأمر.. لا.. لا يوجد أي خطورة لا تقلق. (ثم يغلق الخط وينظر لعبد الرحمن ويسأله: هل أنت متأكد من كونه هو؟

* * *

تتوقف سيارة علياء وتنزل منها ويرى سيف وعلاء بعد توقفهما على بعد أن علياء تقف أمام السائق ويتحدثان قليلًا..

يسمع سيف صوت هاتفه فيفتحه.. فيجد رسالة من علياء تخبره أن يتتبع هاتفها، فيقول سيف لعلاء:

- إنها علياء تطلب منِّي تتبُّع هاتفها.

- إنها لا تعلم أنه لا يمكن تتبُّع الهاتف إلا أثناء المكالمة إلا إذا كان مزوَّدًا بجهاز تحديد المواقع.

- الحمد لله لأنها بدأت بالثقة فينا.. وكذلك كانت فكرة جيدة يا علاء أن نتتبع الهاتف أثناء المكالمة الأخيرة.

- شكرًا..

بعدها تذهب علياء والسائق في القارب ويبحران فينتظر سيف قليلًا ثم يذهبان للسيارة يفتشان فيها.. يجد سيف بندقية قنص في مؤخرة السيارة، فيقول لعلاء بخوف:

- يجب أن نلحقها.

- لماذا؟

- إنها في طريقها لمقابلة القاتل.

- سنبحث عن قارب.

- لا يوجد وقت(ويأخذ البندقية)

- ماذا ستفعل؟

- سأنقذها(يصعد سيف على ظهر السيارة ويثبت البندقية وينبطح).. اذهب أنت لها الآن.. اقفز في الماء.

* * *

(30)

تجلس علياء بجانب عبد الرحمن في المستشفي..

- حمدًا لله على سلامتك.

يبتسم عبد الرحمن قليلًا ويحاول أن يجلس ولكنه يتألم فيتخلى عن تلك الفكرة..

- هل مضى عليَّ الكثير وأنا غائب عن الوعي؟

- حسنًا لنقل إنه كان شيئًا أكبر من مجرد غياب عن الوعي.. بالمناسبة اليوم الثلاثاء.

عبد الرحمن(وهو يتحسس الضمادة على قلبه):

- الثلاثاء؟.. أظنني قد تركتكِ وحدك.. هل انتهى الأمر؟

- لقد انتهى على خير الحمد لله.

عبد الرحمن(وهو ينظر في جوانب الغرفة):

- أين نحن الآن؟

- إننا في ألمانيا.. أنت لا تعلم أننا متنا؟

عبد الرحمن(بتعجب):

- كيف؟

- إننا موتى لمدة سنة على الأقل.. حتى تتسنى لنا العودة لحياتنا مرة أخرى.

- كيف أتيت إلى هنا؟

علياء: بعد أن أجرينا العملية لك بمصر.. تم نقلنا لهنا وسوف نبقى هنا طوال هذا العام.

- كيف؟.. كيف ستتقبل والدتك الأمر؟ كيف سيقبل والدك؟

علياء(بابتسامة):

- إن والدي قد مات منذ سنين، وأما عن والدتي فهي تنتظرني بالفندق الآن.

- وماذا عن يوسف؟

- لقد مات..

- غفر الله ذنبه وسامحه.

- لقد حاول أن يقتلني.

- وأنا حاولت أن أحذرك.

- أظن أننا اطلنا الحديث وهذا ما حذرني منه الأطباء.. سأخرج الآن ولكن هناك أمرًا أخيرًا.

عبد الرحمن(بفضول):

- ماذا هناك؟

- أريد أن أعرف كيف عرفت أن يوسف حي؟

عبد الرحمن(مبتسمًا):

- أظن أن هذه الأشياء أصعب من أن تفهميها.

- حسنًا.. جربني.

- أتتذكرين عندما كنا بالشقة التي وجدنا بها الشريط؟

- بالطبع.

- هناك كنت أنظر في لوحة لفتاة تعزف على قيثارة.. وكان من رسمها قد وقعها باسم الخال.. أتتذكرين؟

- تذكرت، ما الغريب في ذلك؟

عبد الرحمن(مبتسمًا):

- اصبري قليلًا.. هل تتذكرين عندما ذهبت للحلاقة يوم الخميس عندما كنا بالفندق؟

- بالطبع.. عندما أتى سيف وعلاء، لقد كان موقفًا صعبًا حقًا.

- هل قُبِضَ عليك أم هربت منهم؟

- هربت.. سأحكي لك بعد أن تكمل.

- حسنًا.. لقد وجدت هناك بعض المجلات الفنية وقد قرأت بإحداهن وكانت بتاريخٍ قديمٍ من بعد موت الدكتور.. وقد كان بها خبر جذب انتباهي يقول:

"انتقل لرحمة الله الفنان المصري أسامة علي السويفي المشهور بتوقيعه "الخال" في حادثٍ مأساوي..

وقد كشفوا في منزله عن لوحة "العزف بالمشاعر" والتي تمثل فتاة تعزف على آلة القيثارة.. وقد نُقِلَت هذه التحفة للمعرض، ومن المقرر أن يُجرى عليها مزادًا في خلال الأسبوع القادم"

علياء وعلامات الاستفهام ترتسم على وجهها:

- لا أفهم.

- إن اللوحة قد رُسِمَت وبيعت.. بعد وفاة يوسف المزعومة.. فكيف أتت إلى الشقة التي جهزها يوسف؟

علياء(بانفعال):

- هذا يعني أن صاحب الشقة قد اشتراها ونقلها بنفسه.

* * *

عبد الرحمن يجلس عند الحلاق في انتظار أن يفرغ الحلاق ممن يحلق له ويقلّب في مجلات فنية ورياضية مجاورة له قد تراكمت بدون نظام سحب إحداهن، فكانت بتاريخ قديم.. فيرن هاتفه.. يتصفح عبد الرحمن إحدى المجلات وتقع

عيناه على أحد الأخبار، تجذب انتباهه ثم ينظر بشرود أمامه وهو يسترجع كلام علياء.. ثم يمسك هاتفه بسرعة.. يرن هاتف علياء لفترة ثم ترد..

علياء بصوت ناعس:ماذا حدث؟

* * *

- لقد كانت الشواهد كثيرة، ولكننا لم نلحَظ.. أو قولي لم نولها اهتمامًا.

- صحيح.. يكفي الرسالة الرابعة التي تم نشرها في مجموعة القراءة الخاصة بك.

- كذلك.. عندما أخبرتِني بأن شركة "السهم الذهبي" وهمية، تساءلت كيف اتفق معها الدكتور إن كانت وهمية؟

- ولهذا حاول قتلك.

عبد الرحمن:أظن ذل..

علياء(مقاطعة):

- ولكن كيف علم باكتشافك أنه على قيد الحياة؟

- لقد حاولت أن أنبهكِ على الهاتف.. وهو يراقب هاتفي.. إنه من أعطاني إياه.. لقد اكتشفت ذلك بعد فوات الأوان لذلك أغلقت الهاتف.

* * *

(علياء:لقد هربت من سيف.. تحدث بسرعة لأن الشحن قد ينفذ في أي وقت

عبد الرحمن(بسرعة): أظننا ارتكبنا خطأ.. خطأ كبيرًا.. إن اللوحة الموجودة في المنزل...

يفصل هاتف علياء ويتركها في حيرة).

* * *

(علياء: ولكن ما أمر أن تفتش في هديتك جيدًا؟ هل سيرسل لك هدية؟

عبد الرحمن: لا بل أرسلها مسبقًا.. في حياتي مع يوسف أعطاني هديتين.. إحداهما هذا الهاتف(ويمسك هاتفه الخاص) بعدما اشترى هو هاتفًا جديدًا قبل وفاته بشهر تقريبًا.

علياء: والأخرى؟

عبد الرحمن: إنها نظارة شمسية قد أهداها لي منذ مدة..)

* * *

- لقد كان ذكيًا.. لم يترك مجالًا للصد..

عبد الرحمن(مقاطعًا):

- ولكن كيف هربت أنت من الفندق؟

علياء(مبتسمة بفخر): بالهاتف.

عبد الرحمن(متعجبًا):كيف؟

علياء: لقد كان الوضع سيئًا جدًا.. ذهبت لأكثر من باب خلفي لأجدهم جميعًا موصدين..

فأهداني عقلي بعد طول تفكير أن أصعد لغرفتي فهم قد فتشوها مسبقًا.. ومن الممكن ألا يفتشوها ثانية.. ولكنني فكرت في أنه أمر غير مضمون.. فحاولت أن أثنيهم عن تفتيش الغرفة،

عبد الرحمن متعجبًا: كيف؟

- كما أخبرتك.. بالهاتف.. لقد اتصلت بسيف من حمام الغرفة على أمل أن يسمع صدى الصوت فيعتقد أنني مختبئة بأحد حمامات الفندق.. وقد كان بالفعل، ولكنني مجددًا حاولت أن أزيد من احتياطات الأمان.. فخرجت للسطح من سلم الطوارئ، فهم إن لم يفتشوا الغرف فبالتأكيد لن يفتشوا سطح الفندق.. وإن فتشوا الغرف قد لا يفتشون السطح.

- تصرف جيد.. واختبأتِ حتى ذهب أليس كذلك؟

- هذا ما يفعله العاديون.. لكن أنا قد وضعت بصمتي.

عبد الرحمن(ضاحكًا):

- هذا ما أخاف منه

علياء تبادله الضحك ثم تقول:

- عندما صعدت للسطح سمعت صوت ضجيج مكتوم.. وبعد فترة تبينت أن فتحة التهوية المتصلة بالمطبخ تعكس كل ضجيج المطبخ لأعلى.. فاتصلت بسيف مجددًا لأخبره أنني قد هربت من الفندق بالفعل.

- وهل صدقك بهذه البساطة؟

- لقد برهنت له إنني في الشارع بصوت الضجيج الناتج من المطبخ.. فأخذ القوة وانطلق ليبحث عني

عبد الرحمن(مبتسمًا):

- ونزلتِ بعدها بأمان.. أحييك على هذه الخطة.

- إنها من أبسط ما فعلت.

(ويضحكان)..

بعد ساعة من الحديث، تستأذن منه علياء قائلة:

- حسنًا.. حمدًا لله على سلامتك مرة أخري.. سأتركك الآن كي تستريح

(قبل أن تخرج تقف لتقول له: هل تعلم أنني من أنقذت حياتك؟

عبد الرحمن(متعجبًا):

- حقًا؟ وكيف ذلك؟

(تعود علياء وتقف بجانبه وتشرح له كيف ساعدته في إجراء العملية الجراحية).

عبد الرحمن(متعجبًا):

- على الرغم من عدم تصديقي.. شكرًا لك.

- لا، إنني لا افعل شيئًا دون مقابل.. أريد رد الجميل.

- حسنا.. عندما تكون حياتك في خطر اتصلي بي لكي أنقذك

- لا، أنا لن أعرِّضك لهذا الكم من الخطر.. فقط أريد أن أعرف طريقتك لحل كلمة سر الخزنة قبلي بأسبوع.

(يضحك عبد الرحمن فيؤلمه قلبه فيضغط عليه) .

- حسنًا.. لقد قضيت الكثير من الوقت لأبحث عن شفرات تربط بين الحروف والأرقام بتلك الطريقة فلم أجد.

عبد الرحمن(مبتسمًا):

- هذا لأنها ليست شفرة.. سأشرح لكِ.. إن يوسف قال:"السر يكمن في البدايات"

- أعرف ذلك.

- لا تقاطعيني مجددًا و إلا لن أخبركِ..

- حسنًا..

- فظننت أنه يقصد أولى كلمات الرسائل.. وظللت على هذا الحال أسبوعًا حتى عجزت عنها ووضعت كل الأمل عليكِ.. ولكن في اليوم التالي كنت في مجموعة القراءة التي أخبرتك عنها.. وقد طرح أحدهم موضوعًا للمناقشة عن اللغات السامية وكيف تفرعت وما إلى ذلك.. تابعت المناقشة وبعد

قليل كعادة أي مناقشة تترك محورها الأساسي وانتقلت لتناقش أصول الأرقام العربية وإن كانت ذات أصل هندي كما يشاع عنها..

تذكرت وقتها أنني درست موضوعًا لا أذكر متى، يشرح أن أصل الأرقام في العالم كله عربي..

فأجريت بحثًا عن الأرقام العربية بدافع الفضول ولأستطيع أن أشارك بتلك المناقشة.. ووجدت السر في ذلك البحث.

- ماذا وجدت؟

عبد الرحمن(بهدوء):

- أظنني تعبت.. سأستريح وأكمل لك غدًا.

علياء(بانفعال):

- أكمل لي الآن.

عبد الرحمن(يضحك حتي يؤلمه قلبه مجددًا):

- وجدت أن العرب قديمًا قد استخدموا ما يسمى بـ"حساب الجمل" وهو أن كل حرف يقابل رقم ألم تسمعي عنه؟

- لقد درسته في الثانوية العامة.. انه نظام "أبجد هوز" أليس كذلك؟

- إنه كذلك.. أجرِي بحثًا على هاتفك وستفهمين ما أقصد.

تمسك علياء هاتفها وتجري بحثًا، فتظهر لها أولى النتائج في الموسوعة الشهيرة ففتحتها لتجد:

"حساب الجمل أو الترتيب الأبجدي طريقة لتسجيل صور الأرقام والتواريخ باستخدام الحروف الأبجدية، إذ يعطي كل حرف رقمًا معينًا يدل عليه. فكانوا من تشكيلة هذه الحروف ومجموعها يصلون إلى ما تعنيه من تاريخ مقصود وبالعكس كانوا يستخدمون الأرقام للوصول للنصوص."

(وبعدها تحمل الصورة من نفس الموسوعة)، فيقول عبد الرحمن:

- لقد كانت الرسالة الأولى تبدأ بحرف "الجيم" والذي يقابله 3 في الجدول.. والرسالة الثانية بدأت بحرف "الألف" والذي يقابله 1.. أما الرسالة الثالثة فقد بدأت أيضًا بحرف "الجيم".. والرسالة الأخيرة بدأت بحرف "الكاف" والذي يقابله 20، فمثلًا بدايات الرسائل، كانت:

("جاءك من يوسف حمدان (رحمه الله)..

...

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

. . .

" من يوسف حمدان" (رحمه الله)..

. .

"جانب من كتاب كليلة ودمنة هو كتاب رائع به الكثير من القصص، وقد احتال الفرس أعوام كثيرة ليأخذوا نسخة منه من الهند..

. . .

"كلمة أخيرة.. ودعوة مفتوحة للنقاش

سأحكي آخر قصصي وأترك لكم المجال).

جدول حساب الجمّل

ا	١	ح	٨	س	٦٠	ت	٤٠٠
ب	٢	ط	٩	ع	٧٠	ث	٥٠٠
ج	٣	ي	١٠	ف	٨٠	خ	٦٠٠
د	٤	ك	٢٠	ص	٩٠	ذ	٧٠٠
ه	٥	ل	٣٠	ق	١٠٠	ض	٨٠٠
و	٦	م	٤٠	ر	٢٠٠	ظ	٩٠٠
ز	٧	ن	٥٠	ش	٣٠٠	غ	١٠٠٠

كانت علياء تسمع كلام عبد الرحمن بدهشة كبيرة وتقارن الحروف بالأرقام في الجدول وتندهش كلما خرج الرقم صحيحًا من فم عبد الرحمن.

ثم تتحدث وهي لم تخرج من حالة الاندهاش بعد: حسنًا.. أظنني لم أكن لأحله بهذه الطريقة في حياتي كلها.

- أظننا الآن متعادلين.

- أظن ذلك.. أتركك لترتاح الآن وسأزورك غدًا.

- حسنًا.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.. وحمدًا لله على سلامتك مرة أخرى.

(وتخرج).

* * *

الخاتمة

بعد شهرين.. يرن هاتف نور فتجيب:

- آلو

يجيبها صوت خشن:

- إنني .. ملازم أول علاء الـ...

نور(مقاطعة):

- أهلا بحضرتك.. كيف حالك؟

- الحمد لله.. إنني اتصل لأخبرك أنه هناك رسالة لكِ.

نور(بفرحة):

- حسنًا.. سآتي الآن.

*** * ***

في مكتب علاء.. تسأل نور:

- أين الرائد سيف؟ إنني لم أره يتغيَّب عن العمل من قبل.

- إن حضرة الرائد قد حدثت له مشكلة في القلب بسبب كثرة تدخينه للسجائر.

- وكيف حاله الآن؟

- إنه بخير.. لقد بدأ في التعافي منذ يومين.

(ثم مال على نور ويخفض صوته كأنه سيقول سر) وهذا مدعاة أكبر للفرح.. لأن علياء قد نزلت مصر أيضًا.

نور(بفرح):

- حقًا؟

- إنه أمر سري حتي الآن فلا تخبري أحدًا.. خارج هذا المكتب.

- أشكرك لإخباري.. لقد أرحت قلبي كثيرًا.

علاء(وهو يأخذ معطفه): هذه هي رسالة علياء (ويمد يده بورقة مطوية).. سأتركك الآن بالمكتب لتقرأيها وعندما تنتهين اتركيها هنا.. فأنتِ تعلمين أنه غير مسموح..

نور(مقاطعة):

- حسنًا.. أعلم وأقدِّر مجهودك.. شكرًا جزيلًا لك حضرة الضابط.

(يومئ علاء بابتسامة ثم يخرج).

تفتح نور الرسالة وتبدأ بالقراءة:

"إلى صديقتي المشاكسة.. أتمنى أن تكوني بخير وأن يديم الله عليكِ الخير.. لن أطيل عليكِ..

لقد توقفنا في آخر رسالة عندما سمعت صوت الرصاصة وسقطت بالماء..

ستصدقينني إن أخبرتك أنني لا أصدق أنني حية حتى الآن.. ولكنني عندما تألمت من السائل الذي تحلل بوجهي أصبحت الرؤية صعبة.. فسمعت الرصاصة وسقطت في الماء ومت ..

أو هذا ما ظننته..

لقد علمت فيما بعد أن الرصاصة التي سمعتها كانت من حضرة الرائد سيف.

-يجب الرسميات فقد يقرأ الرسالة- .. لقد قتل الدكتور ببندقية القنص من الشاطئ قبل أن يقتلني هو، فسقط على القارب جثة هامدة فاختل توازن القارب وسقطت بالماء.. وقبل أن أغرق كان قد أنقذني الملازم علاء من بين يدي الموت

تلك البندقية التي قتل بها الدكتور.. هي نفسها التي قتل بها سائق سيارة الشركة من قبل.. وحاول أن يقتل بها عبد الرحمن .

أعلم أن بندقية قنص ليست الوسيلة الأمثل لأستاذ جامعة.. وقد أخبرته بذلك، ولكنه رد مستهزئا بأنها سهلة الاستخدام وأنه قد أجرى تدريبًا على هدف متحرك

(وكان يقصد بالطبع سائق سيارة شركة البريد).

عندما أفقت أول كلمة سمعتها كانت من الرائد سيف حيث قال:

"إن الموت كان يجلس في بيته كما يجلس الناس..

فلقد ذهبتِ لمنزله وطرقتِ الباب فلم يفتح فظللتِ تضغطين على الجرس الخاص به حتى استيقظ من نومه وكاد أن يعاقبك على إزعاجك له"

بعد أن استرددت وعيي سألت عن عبد الرحمن ليخبروني أنه قد يموت في أي لحظة إن لم تُجرَ له العملية..

وإن أجريت له فقد يتوقف قلبه أو تقتله الرصاصة إن تحركت، فأقنعت الرائد سيف أنه يمكنني مساعدته.. فكما تعلمين أنني بعد أن امتصصت ذلك الشيء الذي اخترعه الدكتور أيا كان هو، أصبحت المرسل الوحيد في حين أن كل من في الأرض من المستقبلين.. فأصبح بإمكاني المساعدة.. ودخلنا غرفة العمليات وبمجرد بدء العملية توقف قلب عبد الرحمن بالفعل.. فحاولت أن أنعشه بعقلي ولكنني وجدت الأمر ليس سهلًا، لقد تطلب الأمر تركيزًا قويًا.. وبدأت أشعر بقلبه كأنه بداخلي وبدأ قلبه ينبض مجددًا.. بالطبع لم يصدق الأطباء ما شاهدوا.. ولكنني لم أرَ رد فعلهم فقد حكاه لي الرائد سيف لأن رؤيتي قد تشوشت وسرَت بجسدي قشعريرة كأنها الكهرباء وسال الدم من أنفي..ولكن بمرور الوقت أصبح الأمر أسهل..

المهم في الأمر أنه بصحة جيدة الآن..

انتظري قليلًا.. الأخبار الجيدة لم تنتهِ..

إنني بمصر وسأظهر بشخصيتي مجددًا بعد فترة يظنها الرائد سيف ستة أشهر..

فقط ليطمئنوا أنني بأمان ولكنني أرى لها ميزة أخرى.. فقد ينسى سامح أمري.. أو على الأقل تنسين أنتِ أمر سامح.. أظنك تضحكين الآن، ولكن هناك خبر سيء..

كادت السجائر أن تقضي على الرائد سيف منذ أيام.. ولهذا السبب سمحوا برجوعي لمصر ولقد مررت بالمستشفى الموجود بها..

خمني كيف أصبحت صحته بعد زيارتي له (مرسوم بجانب الورقة وجه يضحك)..

وكعادة كل رسالة أنها بشفرة.. هذه المرة جناس صحفي.. أظنك جيدة به.. أظنك ستخمنين الحل قبل أن تقرأيها..

تمام ضياء"

* * *

للتواصل مع الكاتب

"فيس بوك":

https://www.facebook.com/Ragabzzzz

جميع إصدارت الدار متوفرة بمكتبة الرسم بالكلمات

